جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

مجلة الرّاسخون
ARRASIKHUN JOURNAL

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلّة الرّاسخون

مجلّة عالميّة محكّمة

ISSN: 2462-2508

Volume 9, Issue 4, Dec 2023

الإصدار التّاسع، العدد الرّابع، ديسمبر 2023

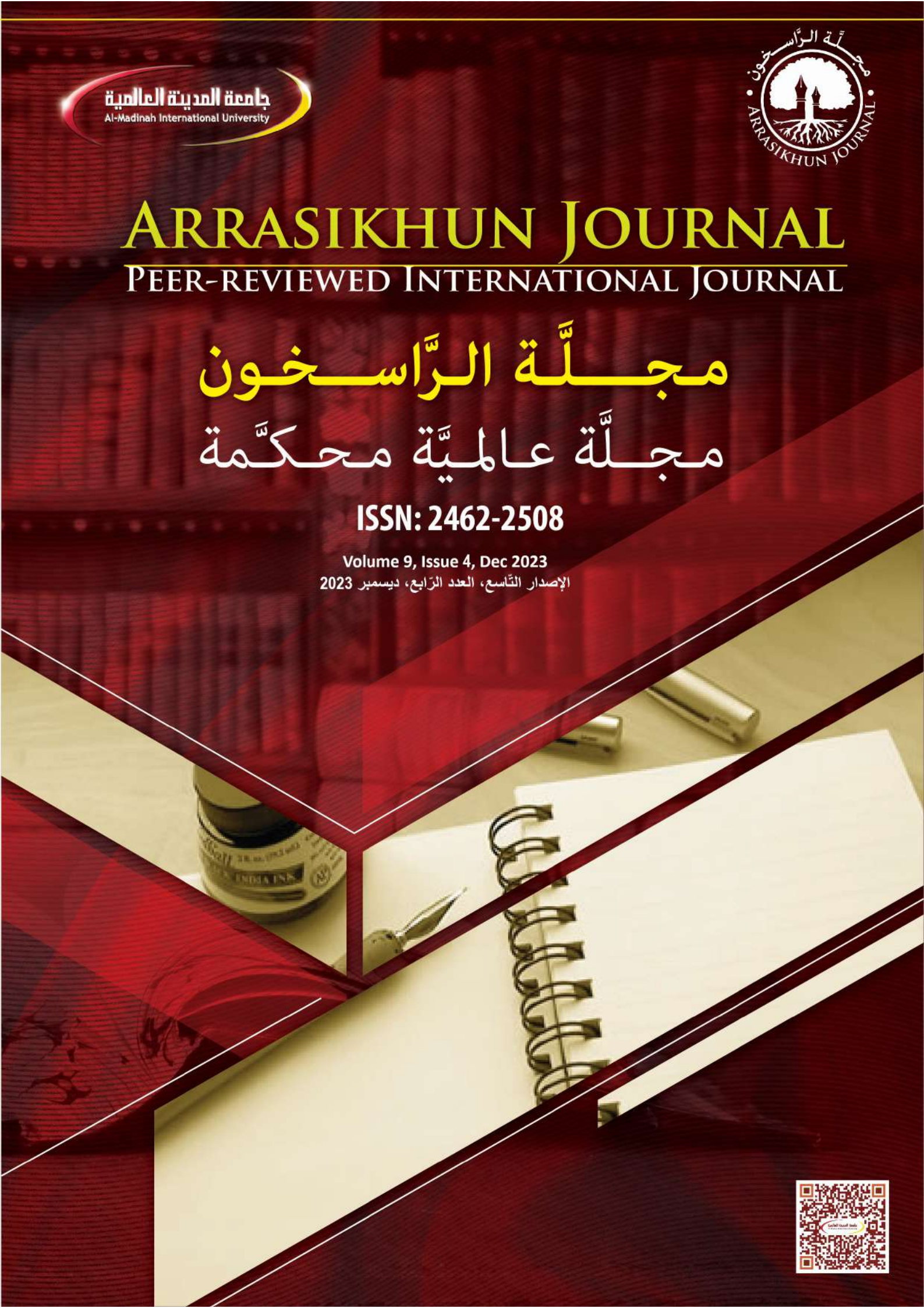

مجلة الرّاسخـــون

مجلة عالمية محكّمة

ISSN:2462-2508

أبحاث الإصدار التّاسع، العدد الرّابع، ديسمبر 2023

أولًا: الدّراسات الإسلامية

البحث	صفحة
1. مظاهر الانحرافات الفكرية من وجهة نظر ابن عثيمين ومعالم منهجه في معالجتها من خلال تفسيره	33-1
2. جهالة الموقوف عليه.....	76-52
3. طبقات قراء المدرســـة المصـــرية من بداية القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن الرابع الهجري	96-77
4. التأمين في ضوء السنة النبوية.....	79-62
5. منهج التلقي والأداء عند القراء	118-97
6. النشاط الدعوي في مدينة القدس الشريف وضواحيها دراسة وصفية خلال الفترة من 1994م-2023م.....	143-119
7.مبادئ النظام القضائي في الإسلام وأثرها في بعض أنظمة القضاء المعاصرة.....	176-144
8. التيسير ورفع الحرج في الشّريعة الإسلامية(مفهومه، وأسبابه، وأقسامه، وضوابطه).....	201-177
9. الخلاف الأصولي بين ابن عاشور والقرافي في باب الحد دراسة تطبيقية من خلال كتابه التوضيح والتصحيح لمشكلات شرح التنقيح في أصول الفقه	221-202
10.الرّسم العثماني في كتب الاحتجاج للقراءات -دراسة مقارنة.....	241-222
11. جهالة الموقوف وأثرها	260-242

ثانيًا: الدّراسات التّربوية

البحث	صفحة
12. تطوير قســم النمو والاحتياج لرصــد معدل النمو والاحتياج الطلابي في المدارس الحكومية في المملكة العربية السعودية"	285-261

أعضاء هيئة تحرير المجلة:

رئيس هيئة التّحرير : الأستاذ الدّكتور / داود عبد القادر إيليغا

نائبة مدير هيئة التّحرير: الأستاذة/ عايدة حياتي بنت محمد سند

سكرتيرة المجلة: الأستاذة/ دينا فتحي حسين

محكّمو أبحاث العدد (حسب التّرتيب الأبجدي):

- الأستاذ المشارك الدّكتور/ أنيس الرّحمن منظور الحقّ
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ إبراهيم بيومي
- الأستاذ المساعد الدكتور/ إبراهيم تويالا
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سمير سعيد حسين الحصري
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ الطّيب المبروكي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ وليد علي الطنطاوي
- الأستاذ الدكتور/ عبد الناصر خضر ميلاد
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ نادي قبيصي
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ خالد حجّاج
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ محمّد البساطي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ ياسر عبد الحميد جاد الله النجار
- الأستاذ الدكتور/ يوسف محمّد عبده محمّد العواضي

Arrasikhun Journal, Volume 9, Issue 4, Dec 2023

ISSN: 2462-2508

مظاهر الانحرافات الفكرية من وجهة نظر ابن عثيمين ومعالم منهجه في معالجتها من خلال تفسيره

أ.د. عبد الله بن عثمان بن علي

المنصوري

الأستاذ في قسم الكتاب والسنة – كلية

الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى،

مكة المكرمة

abdullah١٩٧١m@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم الانحراف الفكري ومظاهره عند الشيخ ابن عثيمين، وموقفه منه، كل ذلك من خلال تفسير القرآن الكريم للشيخ، وقد استعمل الباحث المنهج الوصفي والاستقرائي، والتحليلي، وخرج البحث بجملة من النتائج، سعة عالم ابن عثيمين بحال عصره، ومعرفته التامة بما يكتنفه من تيارات وأفكار متناقضة، وشمولية منهج ابن عثيمين في التشخيص والوقاية والعلاج لتلك الأفكار المنحرفة، ومن توصيات البحث: دراسة موقف ابن عثيمين من التيارات المنحرفة كل على حدة، مقارنة منهج ابن عثيمين بمنهج غيره من علماء العصر .

الكلمات الدلالية: الانحرافات – الفكرية – ابن عثيمين – تفسير القرآن الكريم.

ISSN: 2462-2508

Abstract

This research aims to illustrate the concept of intellectual deviation and its manifestations according to Sheikh Ibn Uthaymeen, and his attitude about it, all through the sheikh's interpretation of the Holy Quran. The researcher used the descriptive, inductive, and analytical approach. The research reached a number of findings. Scholar Ibn Uthaymeen was aware of the condition of his era, and completely knew the contrasting trends and ideas surrounding it. Ibn Uthaymeen's approach is comprehensive in diagnosis, prevention, and treatment of these deviant ideas. The research recommendations: To study Ibn Uthaymeen's attitude about the deviant trends individually, and to compare Ibn Uthaymeen's approach to the approach of other scholars of the era.

Keywords: Deviations - Intellectual - Ibn Uthaymeen - Interpretation of the Holy Quran

Arrasikhun Journal, Volume 9, Issue 4, Dec 2023

ISSN: 2462-2508

المقدمة:

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، القائل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل: ٨٩]، والصلاة والسلام على النبي الأمين القائل: ﷺ: (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ انْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ)[(١)].

وقد سار على هذا النهج علماء أفذاذ، ألفوا في شتى الفنون، ومنهم العلامة محمد بن صالح العثيمين أحد أعلام العصر، الذي نفع الله بعلمه الأمة العصر الحاضر، وعالج مشكلات الأمة وما سرى فيها من انحرافات؛ وعند البحث عن أسباب تلك الانحرافات يتبين أنها تأتي من خطأ في الفهم والتصور والجهل وضعف الفهم، والتفريط، وقد رأيت أن أتتبع ذلك، وأجعله تحت عنوان: (مظاهر الانحراف الفكري عند ابن عثيمين ومعالم منهجه في الرد عليها من خلال تفسيره).

إشكالية البحث وأسئلته: الدراسات التي تناولت شخصية ابن عثيمين ومنهجه في العلوم التي برع فيها كثيرة، بيد أن الجانب الفكري لم يدرس حتى الآن، وهذا البحث سيسد هذه الثغرة إن شاء الله؛ من خلال أهم مؤلفاته، وهو تفسير القرآن الكريم، وسيجيب البحث عن التساؤلات الآتية:

١. ما مفهوم الانحرافات الفكرية؟ وأسبابها في عصر الشيخ ابن عثيمين؟
٢. ما مظاهر الانحراف الفكري في عصر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله وأسبابها؟
٣. ما معالم منهج ابن عثيمين في معالجة الانحرافات الفكرية؟

أهداف البحث: يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

١. بيان مفهوم الانحرافات الفكرية
٢. عرض مظاهر الانحراف الفكرية وأسبابها من وجهة نظر ابن عثيمين من خلال تفسيره
٣. بيان معالم منهجه في مواجهة الانحرافات الفكرية.

أهمية البحث: تبرز أهمية البحث مما يأتي:

١ – كثرة الانحرافات الفكرية، وتنوع اتجاهاتها، مما يستدعي ضرورة بيان الأسباب الحاملة عليها.

٢– بيان منهج الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين في كشف مظاهر تلك الانحرافات، وسبل مواجهتها.

منهج البحث: سيستعمل الباحث المنهج الوصفي[(٢)]، والاستقرائي[(٣)]، والمنهج التحليلي[(٤)]،

(١) البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الخالق، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، ج١٦، ص٢٤٧، وقال الألباني: صحيح، ينظر: **مشكاة المصابيح**، ج١، ص٨٢.

(٢) هو المنهج الذي يُعرّف بأنه: "الجمع المتأني والدقيق للسجلات والوثائق المتوفرة ذات العلاقة بموضوع البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث. ينظر: العساف، صالح، **المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية**، ص٢٠٦.

(٣) هو عملية ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها للتوصل إلى مبادئ عامة، وعلاقات كلية. ينظر: المحمودي، محمد سرحان، **مناهج البحث العلمي**، ص٧٣.

(٤) هو المنهج الذي يمكّن الباحث من القيام بتحليل الظاهرة التي يتم دراستها، ويقوم بالمقارنة بينها وبين كافة الظواهر الأخرى التي تتعلق بها، لكي يتم تفسيرها وتحليلها واستنتاج الحلول بشكل مدروس. ينظر: شفيق، محمد، **البحث العلمي؛ الخطوات المنهجية لإعداد البحوث**

ISSN: 2462-2508

بحسب ما تتطلبه طبيعة الموضوعات والقضايا التي سيناقشها.

الدراسات السابقة: هناك عدة أبحاث ودراسات تتعلق بالشيخ ابن عثيمين رحمه الله لكنها تختلف في محتواها ومضمونها عن هذه الدراسة، ومن تلك الدراسات ما يأتي:

١. الشيخ محمد بن صالح العثيمين وجهوده في تقرير العقيدة من خلال تفسيره: دراسة تحليلية، عبد الله عبد الرحمن جماع، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان، كلية أصول الدين، ٢٠١٨م.

٢. جهود الشيخ ابن عثيمين ومنهجه في العقيدة والمذاهب المعاصرة، سلوى بنت محمد المحمادي، مجلة القراءة والمعرفة – جامعة عين شمس العدد (١٣٣)، ٢٠١٢م.

٣. منهج الشيخ ابن عثيمين في الرد على المخالفين في مسائل الاعتقاد، علي بن عبد الرحمن القرعاوي، بحث مقدم لندوة: (جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية)، جامعة القصيم، ١٤٣١هـ.

وهذه الدراسات كلها تناولت تقرير العقيدة وقضاياها، وعلاقتها متباينة مع عنوان وموضوع بحثي.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

التمهيد وفيه: ترجمة موجزة لابن عثيمين رحمه الله وحياته العلمية، وتعريف الانحرافات الفكرية.

المبحث الأول: مظاهر الانحراف الفكري من وجهة نظر ابن عثيمين من خلال تفسيره:

المبحث الثاني: معالم منهج ابن عثيمين في معالجة الانحرافات الفكرية:

الخاتمة: وفيها: النتائج والتوصيات.

التمهيد:

أولاً: ترجمة موجزة للشيخ ابن عثيمين رحمه الله وحياته العلمية:

اسمه، ونسبه، وكنيته ومولده: هو العلامة الفقيه، المفسر، الأصولي، المحدِّث، اللغوي، الورع، الزاهد، محمد بن صالح بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن مقبل، من آل مقبل، من آل ريس، الوهيبي التميمي، وجده الرابع (عثمان)، أُطلق عليه (عثيمين)، فاشتهر به، وهو من فخذ وهبة من بني تميم، نزح أجداده إلى عنيزة، ويكني الشيخ ابن عثيمين بأبي عبد الله. وولد ابن عثيمين رحمه الله في مدينة عنيزة؛ إحدى مدن منطقة القصيم عام ١٣٤٧هـ، في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك[(١)].

نشأته: نشأ ابن عثيمين رحمه الله في عائلة معروفة بالدين والاستقامة، وكان حريصًا على التحصيل العلمي والمزاحمة عند ركب العلماء، وقد رزق ذكاءً، وهمةً عالية[(٢)].

وفاته: توفى ابن عثيمين رحمه الله في جدة عصر الأربعاء الخامس عشر من الشهر العاشر من عام ١٤٢١هـ عن عمر يناهز الرابعة والسبعين، وصُلي عليه في المسجد الحرام

الاجتماعية، ص١١١.

(١) نظر: السلمان، فهد، **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، ج٦، ص٦، (٦/٦)، المري، عصام عبد المنعم، **الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين**، ص٢٦.

(٢) ينظر: الحسين، وليد بن أحمد، والزبيري، أبو عبد الله، **نبذة عن حياة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، ص١٩.

ISSN: 2462-2508

يوم الخميس عصراً، ثم دفن في مقبرة العدل بمكة المكرمة[١].

طلبه العلم: اتبع الشيخ ابن عثيمين رحمه الله طريق السلف الصالح في طلب العلم، فبدأ بحفظ القرآن الكريم وهو طفل صغير، فقرأه على جده لأمه الشيخ: عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ، ثم اتجه إلى طلب العلم، فتعلم الخط والحساب، وبعض فنون الآداب، وقبل الخامسة عشرة من عمره حفظ (زاد المستقنع)، و(ألفية ابن مالك)، قضى في عنيزة أحد عشر عاماً ملازماً لشيخه عبد الرحمن بن ناصر السعدي؛ الذي كان من أبرز علماء نجد، فقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه والأصول والفرائض والمصطلح والنحو والصرف؛ فكان من أبرز طلابه[٢].

شيوخه: تتلمذ الشيخ ابن عثيمين على عدد كبير من الشيوخ، حيث استفاد الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في طلبه للعلم من عدد من المشايخ، بعضهم من مسقط رأسه بعنيزة، وبعضهم في مدينة الرياض، ومنهم: جده لأمه؛ الشيخ عبد الرحمن بن سليمان الدامغ، والعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والعلامة محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وغيرهم[٣].

مؤلفاته في التفسير: لابن عثيمين مؤلفات كثيرة، في مختلف العلوم، وما يهمنا منها هنا تفسير القرآن الكريم؛ حيث فسر عددًا كثيرًا من السور، ولم يفسر القرآن كله، ومن السور التي فسرها: الفاتحة والبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، الأنعام، والكهف، والنور، والفرقان، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس، والصافات، وص، والزمر، وغافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، ومحمد، ومن سورة الحجرات إلى الحديد، وبعض من جزء تبارك، وجزء عم.

ثانيًا: مفهوم الانحراف الفكري:

الانحراف الفكري مركبٌ وصفي، مكون من كلمتين وُصفت الأولى، وهي: (الانحراف) بالثانية: (الفكري)، وقبل تعريف هذا المركب الوصفي لا بدّ من تعريف جزئيْه.

(أ) مفهوم الانحراف في اللغة والاصطلاح:

الانحراف في اللغة: مصدر من الفعل الحماسي انحرف، وأصله: (ح ر ف)، وهو يدل على العدول؛ يُقال: انحَرَفَ عنه يَنحرِّف انحرافاً. وحرّفتُه أنا عنه، أي عدَلتُ به عنه. ولذلك يقال مُحَارَف، وذلك إذا حُورِّف كَسْبُه فمِّيلَ به عنه، وذلك كتحريف الكلام، وهو عَدْلُه عن جِّهته"[٤].

فالانحراف مدلوله واضح في اللغة، وهو الميل مطلقاً، فيقال: "انحرف الرجل، أي: حرف عن الشيء ومال عنه، ويحرف حرفاً، وانحرف وتحرف واحرورف بمعنى: عدل ومال"[٥]. وتحريف الكلام: العدول به عن جهته، ويغير معناه، يقول تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النساء: ٤٦]. "وفي التنزيل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ

(١) نظر: فهد السلمان، **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، ج٦، ص٦.

(٢) ينظر: المري، عصام عبد المنعم، **الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين**، ص٢٦.

(٣) ينظر: الحسين، وليد، **الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله العلمية والعملية وما قيل فيه من المراثي**، ص٤٨.

(٤) ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني، **مقاييس اللغة**، ج٢، ص٤٢.

(٥) الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح**، ج٤، ص١٣٤٣.

ISSN: 2462-2508

﴿مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾[الحج: ١١]، (على حرف)، أي: على شك، وحقيقته: أنه يعبد الله على حرف، أي: على طريقة في الدين لا يدخل فيه دخول متمكن"(١).

ومن خلال ما تقدم يتضح أن الانحراف له عدة معان في اللغة، منها: عَدَل، وحَاد، ومال.

الانحراف في الاصطلاح:

يختلف تعريف الانحراف في الاصطلاح بحسب المجال أو الموضوع أو القضية التي يتناولها فقد يكون انحرافًا دينيًا، وانحرافا في الفهم وانحرافًا أخلاقيًا، وانحراف سلوكيًا، وانحرافًا فكريًا، وانحراف اجتماعيًا وميلاً عن قيم المجتمع وتقاليده الراسخة، وقد يكون هناك انحراف عن القانون والقواعد المرعية، وغير ذلك(٢).

وهو: "ترك الحق والوسطية والاستقامة أيًّاً كان موضوع الانحراف أو مجاله أو صورته"(٣).

أو هو: "الميل والعدول عن الصراط المستقيم الذي رسمه الله عز وجل في القرآن الكريم وفي سنة نبيه محمد ﷺ منهجاً للحياة تسير عليه"(٤).

وعليه فإن الانحراف هو العدول والميل عن طريق الحق إلى طريق الباطل سواء كان ذلك في المعتقد أو الفكر أو العمل والسلوك.

ثانيًا: مفهوم الفكر في اللغة والاصطلاح:

الفكر في اللغة: من مأخوذ من فكَر في الأمر فكْراً، و"التَّفَكُّر: اسم للتَّفكير، ويقولون: فكّرَ في أمره، وتفكَّرَ، ورجل فِكِّير، كثير الإقبال على التّفكُّر"(٥). والفكر: "تردّد القلب في الشيء، يقال: تفكَّر، إذا رَدَّدَ قلبه معتبرًا، ورجل فِكِّيرٌ: كثير الفكر"(٦). و"الفكر إعمال الخاطر في الشيء"(٧). و"يستعمل الفِكرُ في الأمور المعنويَّة، وهو فركُ الأمور وبحثُها للوصول إلى حقيقتها"(٨). و"التفكر: التأمل، والنظر العقلي، وأصله: إعمال الفكر"(٩).

ومن خلال ما تقدم يتضح أن الفكر له عدة معان، ومنها: التأمل، النظر، التدبر، الفحص، البحث، فرك الأمور، تردد الخاطر في الشيء، إعمال الخاطر في الشيء.

تعريف الفكر في الاصطلاح:

أو هو: "حركة النفس في المعقولات"(١٠).

أو هو "ظاهرة عقلية تنتج عن عمليات التفكير القائم على الإدراك، والتحليل والتعميم. وقيل إن الفكر: حركة عقلية وقوّة مدركة يكتشف الإنسان عن طريقها القضايا المجهولة لديه والتي يبحث عنها ويستهدف تحصيلها، فتنمو معارفه وعلومه وأفكاره في الحياة"(١١).

---

(١) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج٣، ص٣٠٧.

(٢) ينظر: الشيباني، عمر، **دور المربي ورجل الإعلام والمرشد الديني في الوقاية من الجريمة والانحراف**، ص٢٠.

(٣) آل رشود، عبد الله، **ظاهرة الانحراف الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية**، ص٦٠٦.

(٤) حميدة، عمر، **انحرافات بني إسرائيل السلوكية وأثرها على الإنسانية**، ص٢٤.

(٥) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، ج١٠، ص ١١٦.

(٦) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٤، ص٤٤٦.

(٧) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٥، ص٦٥.

(٨) ينظر: مصطفى، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج٢، ص٦٩٨.

(٩) الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج٦، ص١٦٨.

(١٠) الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٦، ص١٦٨.

(١١) بدوي، أحمد زكي، **معجم مصطلحات العلوم الإنسانية**، ص٤٢٥.

ISSN: 2462-2508

إذن الفكر هو: استعمال العقل، وتوظيفه للوصول إلى الحقائق، وعلاج المشكلات.

وعرف قال الطبري المتفكرين بأنهم: "أهل التمييز بين الأمور، والفحص عن حقائق ما يعرض من الشبه في الصدور"(١).

وقد وردت مادة (فكر) باشتقاقاتها في (٢٠) موضعًا من القرآن الكريم(٢)، بصيغة الفعل، ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾[المدثر: ١٨]، "يقال: فكر في الأمر، وتفكر، إذا نظر فيه، وتدبر"(٣).

والتفكر في الأمور – عند ابن عثيمين رحمه الله – يكون "على حسب الواقع، لا يتخيل أشياء لا تَمُتُّ للواقع بصلة، ولا يتفكر في أشياء لا يمكنه الوصول إليها، فلو أراد أحد أن يتفكر في ذات الله عزّ وجل فإنه لا يجوز، هذا ممنوع؛ لأنه لا يمكن الوصول إليه، ولو أراد أن يتفكر في كيفية النزول إلى السماء الدنيا فلا يجوز؛ لأن ذلك لا يمكن الوصول إليه، والله عزّ وجل قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام: ١٠٣]، فإذا كان البصر الذي يدرك الأشياء إدراكًا حسيًا لا يمكن أن يدرك الله عزّ وجل فالفكر من باب أولى. ومما يطلب أن نتفكر فيه من الأمور الواقعة آيات الله عزّ وجل الكونية والشرعية؛ فالآيات الكونية: هي المخلوقات، وما أبدع الله فيها من الحكم والأسرار العظيمة. والآيات الشرعية: هي الأحكام الشرعية التي شرعها الله للعباد، وجعلها صالحة لكل زمان ومكان"(٤).

و"العقل والتفكر ونحوهما من مقتضيات الإيمان، فكلما كان الإنسان أقوى إيمانًا كان أكثر عقلا وتفكرًا، والتفكر أيضًا يدعو إلى الإيمان، فهما متلازمان"(٥).

و"التفكر مفتاح العلم، ولا يمكن علم بلا تفكر أبدًا، تفكر أولا، لِتعْلم، فالتفكير ينفتح به أبواب كثيرة يعرف الإنسان بها من أحكام الله وحكمه ما لا يحصل له لو لم يفكر؛ لأنه خص الآيات بالقوم الذين يتفكرون، فدل هذا على أنه يحصل بالتفكر من الاطلاع على أحكام الله وحكمه ما لا يحصل بالغفلة"(٦).

"والتَّفكُّر إنما يَكون في آياتِ الله تعالى ومَعاني أسمائه وصِفاته، أمَّا في حقيقة الصِّفات أو في حقيقة الذات فلا تَتَفكَّر...وذلك لأن التَّفكُّر في ذات الله تعالى يُؤدِّي إلى غَياهب من الظُّلم، ويُؤدِّي أحيانًا إلى التشكيك، وأحيانًا إلى التَّعطيل، وهذا هو الذي ضَرَّ أهل التَّعطيل – أَعنِي: التَّفكُّر في الذات؛ لأن الذات لا يُمكِن الإحاطة بها، وما لا يُمكِن الإحاطة به فالتَّفكير فيه مَضيَعة للوقت، وهو في جانِب الربوبية خَطير على عقيدة الإنسان، فأنت تُفكِّر في آيات الله تعالى، وفي أسمائه، وفي صِفاته من حيث المعنَى، أمَّا في نَفْس الذات العَليَّة فلا تَستَطيع أن تُفكِّر ولا ماذا تَتَصوَّر؛ ولهذا يَجِب الإعراض عن هذه المسأَلةِ"(٧).

(١) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١١، ص١٠٢.

(٢) عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص٥٢٥.

(٣) الواحدي، علي بن محمد، **التفسير البسيط**، ج٢٢، ص٤٢٥.

(٤) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم**: سورة الأنعام، **ص٢٦٠**.

(٥) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم**: سورة **العنكبوت**، ص١١٤.

(٦) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم**: سورة **الروم**، ص١١٥.

(٧) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم**: سورة **الزمر**، ص٣٠٧، ٣٠٨.

ISSN: 2462-2508

المقصود بالانحراف الفكري:

هو: "اختلال في فكر الإنسان وعقله، والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه وتصوراته، وتوجهاته للأمور الدينية والسياسية، إما إلى الإفراط أو إلى التفريط"(١).

فالانحراف الفكري خلل في التفكير وعدول عن الوسطية سواء كان إفراطاً أو تفريطاً، وسواء كان من الفرد أو الطائفة.

المبحث الأول: مظاهر الانحراف الفكري عند ابن عثيمين من خلال تفسيره:

بين ابن عثيمين رحمه الله مظاهر الانحراف الفكري بقوله: "وضد الاستقامة انحرافان: انحراف إلى جانب الإفراط والغلو. وانحراف إلى جانب التفريط والتقصير؛ ولهذا كان الناس في دين الله عز وجل ثلاثة أصناف: طرفان، ووسط؛ طرف مغال مبالغ متنطع متعنت، وطرف آخر مفرط مقصر مهمل. والثالث وسط بين الإفراط والتفريط، مستقيم على دين الله. وهذا الأخير هو الذي يحمد. أما الأول المغالي، والثاني المجافي فكلاهما هالك، بحسب ما عند كليهما من الغلو أو من التقصي"(٢). وهو نوع من الإفساد في الأرض؛ لأن "الإفساد في الأرض يعم كل ما كان غير صالح، وغير أصلح، يفسدونها في القتل، وفي النهب، وفي الانحراف، وفي الشرك، وفي كل شيء"(٣).

ويمكنني بيانها من خلال تفسير ابن عثيمين فيما يأتي:

أولاً: مظاهر الغلو عند ابن عثيمين من خلال تفسيره:

(أ) تعريف الغلو في اللغة والاصطلاح:

الغلو في اللغة: مأخوذ من "غلا في الأمر يغلو غُلوًّا، أي: جاوز فيه الحد"(٤)، والغلو "ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا غلاءً، فهو غالٍ، وغلا في الأمر غلواً إذا جاوز حدَّه"(٥)، وغَلا: "تصلَّب وتشدَّد، حتى جاوز الحد، ومنه: ومنه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[النساء: ١٧١]، وغالى في أمره مغالاةً؛ بالغَ"(٦).

والغلو عند ابن عثيمين رحمه الله هو الزيادة في الشيء، حيث قال: "والغلو هو: الزيادة، في الشيء، وهذه الزيادة تُسمى غلوًا، وتُسمى إفراطًا، وضدها: التفريط والتقصير"(٧).

فالغلو هو الإفراط، ويعني: التقدّم ومجاوزة الحدّ(٨). والإفراط: الإعجال والتقدّم، وأفرط في الأمر: أسرف وتقدَّم(٩). وكل شيء جاوز قدره فهو مفرط(١٠)، قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾[طه: ٤٥]، قال الطبري رحمه الله: "وأما الإفراط: فهو الإسراف والإشطاط والتعدّي، يقال منه: أفرطت في قولك: إذا أسرف فيه وتعدّى. وأما التفريط: فإنه التواني،

(١) ينظر: الشهراني، **تصور مقترح لتفعيل دور المدرسة الثانوية في تحقيق الأمن الفكري**، ص٣٠.

(٢) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: جزء عم**، ص٨٥.

(٣) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الكهف**، ص١٣٣.

(٤) الجوهري، **الصحاح**، ج٦، ص٢٤٤٨.

(٥) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٤، ص٣٨٧، ٣٨٨.

(٦) الفيومي، **المصباح المنير**، ج٢، ص٤٥٢.

(٧) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة النساء**، ج٢، ص٥٠٦.

(٨) الجوهري، **الصحاح**، ج٤، ص٤٩٠.

(٩) ينظر: ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج٩، ص١٥٦، ابن منظور، **لسان العرب**، ج٧، ص٣٦٩.

(١٠) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، ج٧، ص٤٢٠.

ISSN: 2462-2508

يقال منه: فرطت في هذا الأمر حتى فات: إذا توانى فيه"[١].

ومن خلال ما تقدم يتضح أن الغلو يستعمل في اللغة بعدة معان، منها: مجاوزة الحد، والارتفاع، والتصلب، والتشدد، والمبالغة في الشيء، والزيادة.

الغلو في الاصطلاح: عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الغلو بقوله: "مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك"[٢].

وقال ابن حجر رحمه الله: "هو المبالغة في الشيء، والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق"[٣].

وعرفه ابن عثيمين رحمه الله بقوله: "هو مجاوزة الحد في كل شيء"[٤].

وضابط الغلو هو تعدي ما أمر الله تعالى به، "فكل مَن فعل أمرًا موهمًا أنه مشروع وليس كذلك فهو غالٍ في دينه، مبتدع فيه قائل على الله غير الحق بلسان مقاله أو لسان حاله"[٥].

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله مبينًا سبب الوقوع في الغلو تفريطًا وإفراطًا: "وما أمر الله بأمرٍ إلّا وللشّيطان فيه نزغتان: إمّا إلى تفريطٍ وإضاعةٍ، وإمّا إلى إفراطٍ وغلوٍّ. ودينُ الله بين الجافي عنه والغالي فيه، والوادي بين الجبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسَطُ بين طرفَينِ ذميمين. وكما أنّ الجافي عن الأمر مُضيِّعٌ له، فالغالي فيه مُضيِّعٌ له. هذا بتقصيره عن الحدِّ، وهذا بتجاوز الحدّ. وقد نهى الله عن الغلوّ بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾[المائدة: ٧٧]"[٦].

(ب) مظاهر الغلو عند ابن عثيمين رحمه الله من خلال تفسيره:

الغلو هو انحراف فكري، وله عدة مظاهر كثيرة ذكرها ابن عثيمين رحمه الله في تفسيره، ومنها:

١ – الغلو في الدين: وهو أشد مظاهر الانحراف الفكري خطرًا، وقد بين ابن عثيمين رحمه الله حكمه، فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾[النساء: ١٧١]، "النهي عن الغلو في الدين، وإذا نهى الله أمةً عن شيء، وقصه علينا فهو عبرة لنا؛ يعني: أننا منهيون عنه، ويؤكد هذا قول النبي ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم)[٧]، أي: أي: لا تغلوا فيَّ"، ثم يقول: "الغلو في الدين كالنقص منه، فكما أن الإنسان منهي عن النقص في دينه، فهو أيضًا منهي عن الغلو فيه"[٨].

وقال ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ

(١) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١٦، ٧٦.

(٢) ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، ج١، ص٣٢٨.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ج١٣، ص٢٧٨.

(٤) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة النساء**، ج٢، ص٥١٣.

(٥) أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل، **الباعث على إنكار البدع البدع والحوادث**، ص٢٠، ٢١.

(٦) **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج٣، ص٣٢٠، ٣٢١.

(٧) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله الله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها...)، حديث رقم: ٣٤٤٥، ج٤، ص١٦٢.

(٨) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة النساء**، ج٢، ص٥١٢، ٥١٣.

ISSN: 2462-2508

﴾[المائدة: ٧٧]: "(لَا تَغْلُوا) أي: لا تجاوزوا الحد، (فِي دِينِكُمْ)، أي: في عبادتكم، فالغلو: مجاوزة الحد، وذلك حيث قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وتشدد اليهود في أشياء لم تكن مفروضة عليهم، وإن كان اليهود قد شدد عليهم، كما قال الله عزّ وجل: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[النساء: ١٦٠]، قوله: (غَيْرَ الْحَقِّ) أي: غلوًا غير الحق، والوصف هنا ليس للقريب؛ لأن الغلو كله ليس بحق، لكنه بيان للواقع"(١).

ومن الغلو في الدين غلو الفِرق في أسماء الله تعالى وصفاته، قال ابن عثيمين رحمه الله مبينًا وسطية أهل السنة والجماعة بين الطوائف والفرق الأخرى: "هم وسط في باب الصفات بين طائفتين متطرفتين: طائفة وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية، غلت في التنزيه والنفي، وهم أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم، وطائفة غلت في الإثبات، وهم الممثلة. وأهل السنة والجماعة يقولون: لا تغلوا في الإثبات ولا في النفي، ونثبت بدون تمثيل؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]"(٢).

والتعصب من الغلو في الدين، وهو "حالة من التزمت والغلو في الحماس، والتمسك الضيق الأفق بعقيدة أو فكرة دينية مما يؤدي إلى الاستخفاف بآراء ومعتقدات الآخرين ومحاربتها والصراع ضدها وضد الذين يحملونها"(٣). ومنه تعصب اليهود والنصارى، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة: ١١١](٤).

والتعصب تمارسه سائر الطوائف، قال ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾[غافر: ٢٦]: "الفائدة الخامسة: تعصب الكفار لدينهم"(٥). وقال ابن عثيمين: "وقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[الشورى: ١٣] يعني: ائتوا به مستقيمًا، غير منحرف. والدين القيم هو الدين الذي شرعه الله عز وجل فيجب علينا أن نقيم الدين كما أقامه الله عز وجل لا نغلو فيه، ولا نقصر عنه، ولذلك كان الناس في دين الله على ثلاثة أقسام: قسم غلوا، وقسم قصروا، وقسم اعتدلوا...ولذلك هلك أقوام ممن قصروا أو تجاوزوا، والأخطر التجاوز، وهو الغلو، قال النبي ﷺ: (إنما أهلك من كان قبلكم الغلو) ولأن الغالي، يعتقد أن هذا دين فلا يكاد يقلع عنه، والمقصر يعترف أنه مقصر، فربما حاسب نفسه يوما من الأيام وأتم، فالغلو أخطر، ولذلك تجد بدع المبتدعة، أشدها الغلو؛ فالرافضة مثلا غلوا في آل البيت، وتجاوزوا الحد، والمؤلهة للرسول عليه الصلاة والسلام الذين يعتقدون أنه أشد من الإله عز وجل غلوا في الرسول، وهلكوا. والغالية في الدين الذين يريدون من الناس أن

(١) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ج٢، ص٢٢٩.

(٢) السلمان، فهد، **مجموع فتاوى ورسائل العثيمين**، ج٨، ص٤٤١.

(٣) وطفة، علي، الأحمد، عبد الرحمن، **التعصب ماهية وانتشارًا في الوطن العربي**، ص٨٤.

(٤) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج١، ص٣٦٧. ص٣٦٧.

(٥) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة غافر**، ص٢٣٥.

ISSN: 2462-2508

يستقيموا على الدين، وألا يفعلوا كبيرة أيضا غلوا؛ كالخوارج"[١].

وذكر ابن عثيمين رحمه الله سبب الانحراف، فقال: "المنحرف عن الدين وعن نشر العلم ينحرف لأحد سببين: السبب الأول: خشية الناس، والسبب الثاني: الطمع في الدنيا، وجه ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾[البقرة: ٤١]، فلو أنك تأملت أسباب الانحراف، وأعني بذلك انحراف العلماء، لوجدته يدور على شيئين: إما الخوف من الناس، وإما طلب الدنيا والرئاسة والمال وما أشبه ذلك"[٢].

٢ – الغلو في العبادات: عرفه ابن عثيمين ﷺ فقال: "هو التشدد فيها، بحيث يرى أن الإخلال بشيء منها كفر وخروج عن الإسلام؛ كغلو الخوارج والمعتزلة، حيث قالوا: إن من فعل كبيرة من الكبائر؛ فهو خارج عن الإسلام، وحل دمه وماله، وأباحوا الخروج على الأئمة وسفك الدماء، وكذا المعتزلة، حيث قالوا: من فعل كبيرة؛ فهو بمنزلة بين المنزلتين: الإيمان والكفر؛ فهذا تشدد أدى إلى الهلاك، وهذا التشدد قابله تساهل المرجئة، فقالوا: إن القتل والزنا والسرقة وشرب الخمر، ونحوها من الكبائر، لا تخرج من الإيمان، ولا تنقص من الإيمان شيئا، وإنه يكفي في الإيمان الإقرار، وإن إيمان فاعل الكبيرة كإيمان جبريل ورسول الله ﷺ لأنه لا يختلف الناس في الإيمان، حتى إنهم ليقولون: إن إبليس مؤمن؛ لأنه مقر، وإذا قيل: إن الله كفره؛ قالوا: إذن إقراره ليس بصادق، بل هو كاذب"[٣].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "والشيطان دائمًا يأتي الإنسان من كل وجه، قال الله تعالى عنه في سورة الأعراف: ﴿**قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ**﴾[الأعراف: ١٦] يعني: في كل مكان، فيأتي الإنسان يثبطه عن العبادة، يثبطه عن طلب العلم، يثبطه عن صلة الرحم، عن بر الوالدين، وما أشبه ذلك مما أوجب الله عليه، فإذا رأى منه تصميما على القيام بالعبادة أتاه من جهة أخرى، وهو: الغلو في العبادة، والزيادة فيها، والتنطع والتكلف، فإذا عجز عنه من هذه الناحية أتاه من جهة النية؛ أنك مراء، ولكن الإنسان يجب عليه أن يدافع الشيطان بقدر ما يستطيع مستعينا بالله عز وجل"[٤].

٣ – التطرف في المعاملات: قال ابن عثيمين ﷺ: "وأما الغلو في المعاملات، فهو التشدد في الأمور بتحريم كل شيء حتى ولو كان وسيلة، وأنه لا يجوز للإنسان أن يزيد عن واجبات حياته الضرورية، وهذا مسلك سلكه الصوفية، حيث قالوا: من اشتغل بالدنيا؛ فهو غير مريد للآخرة، وقالوا: لا يجوز أن تشتري ما زاد على حاجتك الضرورية، وما أشبه ذلك"[٥].

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: "الغلو في العبادة سيئة، والتقصير سيئة، والاقتصاد بينهما حسنة"[٦]، قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: "والغلوُّ نوعان: نوعٌ يُخرِجه عن

(١) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الشورى**، ص١٣١.

(٢) ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ج١، ص٤٣٣.

(٣) ابن عثيمين، **القول المفيد على كتاب التوحيد**، ج١، ص٣٧٦.

(٤) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الزمر**، ص٣٥.

(٥) ابن عثيمين، **القول المفيد على كتاب التوحيد**، ج١، ص٣٧٦.

(٦) أبو عبيد، القاسم بن سلام، **غريب الحديث**، ج٥، ص٤٣٠.

ISSN: 2462-2508

كونه مطيعًا. كمن زاد في الصّلاة ركعةً، أو صام الدَّهر مع أيّام النّهي، أو رمى الجمارَ بالصَّخَرات الكبار التي يُرمى بها في المنجنيق أو سعى بين الصّفا والمروة عشرًا، ونحو ذلك عمدًا. وغلوٌّ يُخاف منه الانقطاع والاستحسار، كقيام اللّيل كلّه، وسرد الصِّيام الدهر أجمع بدون صوم أيّام النّهي، والجور على النُّفوس في العبادات والأوراد"[١].

والغلو في العبادات أو في غيرها مفسدة، قال ابن عثيمين: "إذا نهي أهل الكتاب عن الغلو، والغلو في ذاته مفسدة، فكذلك ينهى غيرهم، ولهذا حذر النبي ﷺ من الغلو في الدين، وحذر من الغلو فيه نفسه، فكان الرسول عليه الصلاة والسلام ينهى عن الغلو في الدين، فنهى الذين قالوا: إننا نصوم ولا نفطر، ونقوم ولا ننام، ولا نتزوج النساء، ولا نأكل اللحم، وأخذ حصيات في حجة الوداع وجعل يقلبها في يده ويقول: (بأمثال هؤلاء فارموا، إياكم والغلو في الدين)[٢]، وسمى الذين أرادوا المواصلة في الصوم، المتعمقين، تحذيرًا لفعلهم، ودعا على المتنطعين في دينهم ثلاث مرات، فقال: (هلك المتنطعون)"[٣].

ومن أمثلته أيضًا: "أن يرهق الإنسان نفسه بالعبادة ويتعبها؛ فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك"، ومثل أن يزيد عن المشروع، كأن يرمي بجمرات كبيرة، أو يأتي بأذكار زائدة عن المشروع أدبار الصلوات تكميلا للوارد أو غير هذا"[٤].

ومن أمثلته الإسراف، وهو "مجاوزة الحد، ومجاوزة الحد هي إما في غلو وإما في تقصير، أما مجاوزة الحد في الغلو فظاهر، وأما في التقصير فلأن المطلوب من المكلف ألا يتعدى حدود الله تجاوزا ولا يقربها أيضًا، فإذا كان الإنسان فاعلًا للمحرم فهو مسرف؛ لأنه تجاوز حد العبودية إذ مقتضى العبودية أن يكون مجتنبًا لما حرّم الله. وإذا فرَّط في الواجب كان مسرفًا أيضًا فيما تقتضيه العبودية؛ لأن مقتضى العبودية أن يكون قائمًا بالواجب، فالإنسان قد يسرف في الواجب وفي المحرم وفي المباح أيضًا، كما لو أسرف في الإنفاق على نفسه وعلى أهله فإنه داخل في الإسراف"[٥].

٤ – الغلو في المخلوقين: قال ابن عثيمين رحمه الله: "لا يجوز لنا أن نغلو في ديننا، سواء ما يتعلق برسولنا ﷺ أو بأعمالنا، وعلى هذا فمن أحب النبي ﷺ أكثر من محبة الله فهو غالٍ فيه، ومن نزَّله منزلة الرب، وأنه يتصرف في الكون فهو غالٍ فيه، ومن زعم أن غيره ممن هو دونه يتصرف في الكون فهو غالٍ فيه، فالغلو هو مجاوزة الحد في كل شيء"[٦]. وقال ابن عثيمين رحمه الله: "إن الغلو في الأنبياء والصالحين وقع فيه طوائف من ضُلال المتعبدة

(١) ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ج٣، ص٣٢٠، ٣٢١.

(٢) النسائي، **سنن النسائي**، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، حديث رقم (٣٠٥٧)، ج٥، ص٢٦٨.

(٣) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ج٢، ص٢٣١، والحديث رواه، البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم (٤٧٧٦)، ج٢، ص٧، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، حديث رقم (١٤٠١)، ج٢، ص١٠١٨.

(٤) ابن عثيمين، **القول المفيد على كتاب التوحيد**، ج١، ص٣٦٦.

(٥) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران**، ج٢، ص٢٦٦. ص٢٦٦.

(٦) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة النساء**، ج٢، ص٥١٣.

ISSN: 2462-2508

والمتصوفة، حتى خالط كثيرًا منهم ما هو أقبح من قول النصارى"[١].

ومن أمثلته ادعاء اليهود أن إبراهيم عليه السلام كان يهوديًا، وادعاء النصارى أنه كان نصرانيًا، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران: ٦٧]. وقولهم هذا انحراف فكري، ومحض باطل يرده الواقع والتاريخ، قال ابن عثيمين رحمه الله: "فإبراهيم عليه السلام ليس يتدين بدين اليهود؛ لأن دين اليهود من بعده، ولا بدين النصارى؛ لأن دين النصارى من بعده. كذلك أيضًا إبراهيم عليه السلام ليس كالنصارى واليهود يتعصبون لما هم عليه بحق أو بباطل، بل كان حنيفًا مسلمًا، منقادًا لأمر الله، يأتمر بأمر الله، وينتهي بنهي الله"[٢].

وقال أيضًا: "فدين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، ولهذا قال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨] لا يميل يميناً ولا شمالاً، يكون سيره سير استقامة على دين الله عز وجل، والاستقامة كما تكون في معاملة الخالق عز وجل، وهي العبادة تكون أيضاً في معاملة المخلوق، فكن مع الناس بين طرفين، بين طرفي الشدة والغلظة والعبوس، وطرف التراخي والتهاون وبذل النفس وانحطاط الرتبة، كن حازماً من وجه، ولينا من وجه"[٣].

وقد يكون الغلو في الأنبياء والصالحين مدحًا أو قدحًا، قال ابن عثيمين رحمه الله: "لا يجوز لنا أن نغلو في ديننا، سواء ما يتعلق برسولنا ﷺ أو بأعمالنا، وعلى هذا: فمن أحب النبي ﷺ أكثر من محبة الله فهو غالٍ فيه عليه الصلاة والسلام، ومن نزله منزلة الرب وأنه يتصرف في الكون فهو غالٍ فيه، ومن زعم أن غيره ممن هو دونه يتصرف في الكون فهو غالٍ فيه، فالغلو هو مجاوزة الحد في كل شيء"[٤]. وقال رحمه الله: "قوله: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾[النساء: ١٧١]، أي: لا تتجاوزوا الحد مدحًا أو قدحًا...فإنهم غلوا في عيسى ابن مريم عليه السلام مدحًا وقدحًا، حيث قال النصارى: إنه ابن الله، وجعلوه ثالث ثلاثة. واليهود غلوا فيه قدحًا، وقالوا: إن أمه زانية، وإنه ولد زنا، قاتلهم الله؛ فكل من الطرفين غلا في دينه وتجاوز الحد بين إفراط أو تفريط"[٥].

وقد يكون الغلو في الصحابة، والانحراف الفكري في فيما يتعلق بالصحابة قديم، وله آثار خطيرة، وقد أوضح ابن عثيمين رحمه الله موقف السلف من الصحابة بقوله: "وموقف أهل السنة من الصحابة محبتهم، والثناء عليهم بما يستحقون، وسلامة قلوبهم من البغضاء والحقد عليهم، وسلامة ألسنتهم من قول ما فيه نقص أو شتم للصحابة، كما وصفهم الله بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠]. وقال النبي ﷺ: (لا تسبوا

(١) السلمان، فهد، **مجموع فتاوى ورسائل العثيمين**، ج٧، ص١٥٣ – ١٥٥.

(٢) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران**، ج١، ص٣٨٧.

(٣) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: جزء عم**، ص٨٥.

(٤) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة النساء**، ج٢، ص٥١٣.

(٥) السلمان، **مجموع فتاوى ورسائل العثيمين**، ج٩، ص٣٥٦ – ٣٥٧.

ISSN: 2462-2508

أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)"[(٢)][(١)].

٥ – الغلو في تكفير وتفسيق المخالف، ومن أمثلته: "ما يلجأ بعض الناس إلى الاستحلال أو إلى الجحود، فمثلا يقول: من ترك الصلاة جاحدا فقد كفر. وهذا تحريف للكلم عن مواضعه. وهذه مسألة يلجأ إليها المتعصب لقوله، فيحاول أن يلوي أعناق النصوص إلى ما يقول...نحن نقول: سبحان الله! أنتم إذا فعلتم ذلك جنيتم مرتين على كلام رسول الله ﷺ: المرة الأولى: حملكم الكلام على غير ظاهره. والمرة الثانية: إثبات أمر لم يقله الرسول ﷺ. الرسول ﷺ قال: (مَن تركها)، ولم يقل: (من جحدها) ...كيف تلغون وصف الترك، وتأتون بوصف جديد تعلقون به الحكم؟!"[(٣)].

و"الأساليب الدعائية يستعملها المشركون من قديم الزمان، حيث قالوا لهؤلاء المؤمنين، أو لهؤلاء القائلين: أنفقوا مما رزقكم الله. قالوا لهم: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[يس: ٤٧]، وهذا الوصف المشين للمؤمنين من الكافرين هذا لم يزل ولا يزال موجودًا إلى يومنا هذا، فهم يصفون أهل الخير بالأوصاف العديدة المنفرة منهم، أو التي يقصدون بها استعداء الحكام على هؤلاء المؤمنين، يقولون: هؤلاء رجعيون، وهؤلاء متخلفون، هؤلاء متشددون، هؤلاء متزمتون، وما أشبه ذلك من الكلمات التي يصفون بها أولياء الله عز وجل، ونحن لا ننكر أنه يوجد من أهل الخير وأهل الدين من يغلو ويبالغ في عمله، أو في وصفه لغيره من التكفير والتفسيق، حتى يكفر من لم يكفره الله، ويفسق من لم يفسقه الله، نحن لا ننكر أن هذا موجود"[(٤)].

وبين ابن عثيمين ﷺ بعض عوامل التطرف فقال: "وجود مثل هؤلاء المتشددين إنما جاء نتيجة لتطرف الآخرين في المعاصي والفسوق، فيريدون أن يحدثوا ردة فعل بالنسبة لهؤلاء، ولو استقام الناس كلهم على الدين ما حصل هذا التطرف، لكن إذا رأوا جانبًا متطرفًا في الفسوق والعصيان، وأنه مستمر على ذلك ومقر على ذلك من بعض ولاة الأمور، حصل رد فعل مقابل لهؤلاء، فتشدد هؤلاء في مقابل تراخي هؤلاء، ولكن التوسط هو الخير، ومع هذا فإن المتوسطين المعتدلين لا يسلمون من ألسنة المتطرفين الضالين، ولا من ألسنة المتطرفين الغالين، فالغالون مثلًا يقولون لهؤلاء المتوسطين: أنتم مفرطون، أنتم مداهنون، أنتم تقرون أهل"[(٥)].

(ج) مفاسد الغلو عند ابن عثيمين:

قال ابن عثيمين رحمه الله: "فنهى عن الغلو في الدين؛ لأنه يتضمن مفاسد كثيرة، منها:

١. أنه تنزيل للمغلو فيه فوق منزلته إن كان مدحًا، وتحتها إن كان قدحًا.

٢. أنه يؤدي إلى عبادة هذا المغلو فيه، كما هو الواقع من أهل الغلو.

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذا خليلا...)، حديث رقم: (٣٦٧٣)، ج٥، ص٨، وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ﷺ، حديث رقم: (٢٥٤١)، ج٤، ص١٩٦.

(٢) السلمان، **مجموع فتاوى ورسائل العثيمين**، ج٤، ص٣٠٥.

(٣) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة غافر**، ص١٤٩.

(٤) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة يس**، ص١٧٢.

(٥) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة يس**، ص١٧٢.

ISSN: 2462-2508

٣. أنه يصد عن تعظيم الله سبحانه وتعالى؛ لأن النفس إما أن تنشغل بالباطل أو بالحق؛ فإذا انشغلت بالغلو بهذا المخلوق وإطرائه وتعظيمه؛ تعلقت به ونسيت ما يجب لله تعالى من حقوق.

٤. أن المغلو فيه إن كان موجودا؛ فإنه يزهو بنفسه، ويتعاظم ويعجب بها، وهذه مفسدة تفسد المغلو فيه إن كانت مدحا، وتوجب العداوة والبغضاء وقيام الحروب والبلاء بين هذا وهذا إن كانت قدحًا"[١].

وقد وصف قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله الغاليَ بقوله: "والغالب أن الغالي ينحرف – نسأل الله العافية – لأن الغلو خلاف الفطرة، فيكون غلوه ظاهريًّا فقط، ويكون قلبه خاليًا من حقيقة الإيمان، ولهذا أخبر النبي ﷺ أن الخوارج يحقر الصحابي صلاته عند صلاتهم وقراءته عند قراءتهم، ولكن إيمانهم لا يتجاوز حناجرهم والعياذ بالله، والغالب أن الغالي تجد قلبه يجول مع الناس وأفعال الناس وينتقدهم ويعترض عليهم، لكنه خال من معرفة الله حق المعرفة، ومن الرجوع إليه والإنابة إليه، فاحذر هذا، احذر هذا يا طالب العلم، كن مستقيمًا بين الغلو والتفريط"[٢]. وهذا تشخيص دقيق من عالم كبير، شخص المرض، وينصح المريض، ويحدد الدواء الناجع.

ثانيًا: مظاهر التفريط عند ابن عثيمين من خلال تفسيره:

(أ) تعريف التفريط في اللغة والاصطلاح: بعد أن عرَّفنا سابقاً الغلوّ والإفراط، ومظاهره نقف في هذا الفصل على ما يقابلهما، وهو: التَّفريط والجفاء.

التَّفريط في اللغة: مصدر تفعيل، وهو خلاف الغلو والإفراط، و"الفارط المتقدم السابق، فرط يفرط فروطًا. قال أعرابي للحسن البصري: يا أبا سعيد، علمني دينًا وسُوطًا، لا ذاهبًا فروطًا، ولا ساقطًا سقوطًا؛ أي: دينًا متوسطًا لا متقدمًا بالغلو ولا متأخرًا بالتلو، قال له الحسن: أحسنت يا أعرابي خير الأمور أوساطها[٣]. والتفريط هو التَّضييع؛ "فرَّط في الأمر يفرط فرطًا، أي: قصَّر فيه وضيَّعه حتى فات. وكذلك التفريط. وفرط عليه، أي: عجَّل وعَدَا. ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾[طه: ٤٥]"[٤]. والتَّفريط: هو التَّقصير، والتَّضييع، والتَّرك؛ لأنَّه إذا قصَّر في الشيء فقد قعد به عن رتبته التي هي له[٥].

وقد وردت مادة فرط ومشتقاته في القرآن الكريم في عدَّة مواضع، ومنها: قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا ﴾[الأنعام: ٣١]، أي: تركنا وضيعنا فيها"[٦]. وقال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾[الأنعام: ٣٨]، "معناه: ما ضيعنا إثبات شيء منه"[٧]. وقال الله تعالى: ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[الأنعام: ٦١]، يعني: لا يضيعون ما أُمروا به"[٨]. وقال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ﴾[النحل: ٦٢]، قيل: منسيون،

(١) بن عثيمين، **القول المفيد على كتاب التوحيد**، ج١، ص٣٦٥.

(٢) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ج٢، ص٢٣٢.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٧، ص٣٦٦.

(٤) الجوهري، **الصحاح**، ج٣، ص١١٤٨.

(٥) ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٤، ص٤٩٠.

(٦) الواحدي، **التفسير البسيط**، ج٨، ص٨٦.

(٧) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج٩، ص٢٣٤.

(٨) البلخي، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ص٥٦٥.

ISSN: 2462-2508

وقيل: متروكون في النار. وقيل: الأصل فيه أنهم مقدمون إلى النار معجلون إليها. يقال: أفرطته، أي: أقدمته"[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، "معناه: ضياعًا وهلاكًا، من قولهم: أفرط فلان في هذا الأمر إفراطًا: إذا أسرف فيه، وتجاوز قدره"[٢].

والتفريط عند ابن عثيمين هو: "الإهمال، والإضاعة، وعكسُه: الإفراط، وهو التَّجاوز، والتَّفريط القصور عن الشيء، فالمفَرِّط هو المهمل المقصّر، والمفرِط هو المتجاوِز للحدِ، وكلاهما مذموم، والخيار هو الوسط"[٣].

ومن خلال ما تقدم يتضح أن التفريط تتسق دلالته اللغوية مع السياقات القرآنية كافة، فيشمل: التضييع، والترك، والتقصير، والتهاون، والقعود.

التفريط في الاصطلاح: يختلف تعريف التفريط باختلاف المجال الذي يستعمل فيه، فهناك تفريط في العقيدة، والفكر، والعبادات، والعمل، والمسؤولية، والمواقف، والأخلاق، والسلوك وغيرها.

أو هو: "التهاون في الشيء حتى يتلف، وإهمال الشيء[٤]. الشيء[٤].

ونقصد بالتفريط هنا التفريط في الفكر الذي ينعكس على كافة مجالات التفريط، ومظاهره، وهو يناقض التوازن الفكري، ويأخذ بطرف التضييع والترك.

(١) ينظر: السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، ج٣، ص٢١٨.

(٢) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١٥، ص٢٤٣.

(٣) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الزمر**، ص٣٩٩.

(٤) ابن عبد الهادي، **الدر النقي في شرح ألفاظ الخِرَقي**، ج٢، ص٣٣٣. ص٣٣٣.

(ب) مظاهر التفريط عند ابن عثيمين رحمه الله من خلال تفسيره:

للتفريط صور لا تنحصر عند ابن عثيمين رحمه الله، فهو يعمّ جميع مجالات الحياة، وتعاملاتها، ومنها:

١- التفريط في الدين: فكما أن هناك غلوًا في الدين فإنه يقابله تفريط فيه أيضًا، قال ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ١٨١] "فالحاصل أن في الآية رداً على القدرية والجبرية؛ وكل منهم غلا في جانب من جوانب القدر؛ فالجبرية غلو في إثبات القدر، وفرطوا في أفعال العباد؛ والقدرية غلو في إثبات فعل العبد، وفرطوا في علم الله، وإرادته؛ والوسط هو الخير؛ فأهل السنة، والجماعة يثبتون لله العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق؛ كما يثبتون للإنسان إرادة، وقدرة ـ لكن ذلك تابع لإرادة الله؛ وخلقه ـ؛ وتفاصيل ذلك مبسوط في علم العقائد"[٥].

والتفريط في الدين هو التقصير فيه، قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: "فدِين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وخيرُ الناس النمط الأوسط، الذين ارتفَعُوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغلوِّ المعتدين، وقد جعَل الله سبحانه هذه الأمَّة وسطًا؛ وهي الخيار العدل لتوسُّطها بين الطرفين المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط، والآفات إنما تتطرَّق إلى الأطراف، والأوساط محميَّة بأطرافها، فخيار الأمور أوساطها"[٦].

(٥) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص٣١٢. ص٣١٢.

(٦) ابن قيم الجوزية، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ح١، ص١٨٢.

ISSN: 2462-2508

٢- التفريط في فعل المأمورات وعدم ترك المنهيات، قال ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[آل عمران: ٩٩] "والعوج عن شريعة الله يشمل معنيين: المعنى الأول: في الأوامر، والثاني: في النواهي. أما في الأوامر فاعوجاجها إما بالتهاون بها والتفريط، وإما بالإفراط فيها والغلو، فالناس بالنسبة لأوامر الله ثلاثة أقسام: قسم وسط، وقسم مُفرِّط، وقسم مُفرِط، يعني غالٍ متجاوز للحد. فالوسط هو المستقيم. والمفرط عَوج، والزائد عَوج أيضًا. هذا في الأوامر. أما في النواهي فالعوج هو انتهاكها وارتكابها، هذا عوج؛ لأن الصراط المستقيم في النواهي أن تدعها، وأن تتجاوزها. فإذا أنت فعلتها وانتهكتها فهذا هو العوج فيها. فهؤلاء اليهود والنصارى، أهل الكتاب، يريدون من الناس العوج في الأوامر وفي النواهي، في الأوامر بالتفريط، والتهاون، أو بالغلو والإفراط. وفي النواهي بانتهاكها، والتهاون بها"[(١)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾[النساء: ٤٢]: "قوله: ﴿وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ﴾، أي: خالفوا أمره، فلم يمتثلوا الأمر، ولم يجتنبوا النهي؛ لأن المعصية هنا تشمل التفريط في الأوامر، وكذلك فعل النواهي"[(٢)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "نقض عهد الله من الفسق؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾[البقرة: ٢٧]، فكلما رأيت شخصًا قد فرط في واجب، أو فَعَل محرمًا فإن هذا نقض للعهد من بعد الميثاق"[(٣)].

٣- التفريط في حق النفس أو الغير: قال ابن عثيمين رحمه الله: "وقالوا: إن هذا خلاف الأدب لكنه محرم، يعني كونه يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله، وخلاف العقل لكنه حرام عليه، فيجب أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبدأ بنفسه، فإذا فَرَّط في حق نفسه فليس له الحق في أن يُفَرِّط في حق غيره"[(٤)].

٤- الظلم: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة: ١١٤]: "وقوله تعالى: (أظلم) اسم تفضيل من الظلم؛ وأصله في اللغة النقص؛ وهو أن يفرط الإنسان فيما يجب؛ أو يعتدي فيما يحرم؛ ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾[الكهف: ٣٣] أي: لم تنقص؛ وهو في الشرع بهذا المعنى؛ لأن الظلم عبارة عن تفريط في واجب، أو انتهاك لمحرم وهذا نقص"[(٥)]. وقال رحمه الله: "والظلم في الأصل النقص... وهو في الحقيقة إما تفريط في واجب، وإما انتهاك لمحرَّم، وكلاهما نقص؛ لأن المنتهك للمحرَّم، أو

(١) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران**، ج١، ص٥٦٦.

(٢) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة النساء**، ج١، ص٣٣٨.

(٣) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ١٠٣/١.

(٤) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران**، ج٢، ص١٩.

(٥) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص٥.

ISSN: 2462-2508

المفرِّط في الواجب قد نقَص الأمانة والرعاية؛ لأنه أمين على نفسه، وراعٍ عليها، فإذا أقدم على فعل المحرم، فقد أخلَّ بما يجب عليه من الرعاية، وخان الأمانة. فإذا فرَّط في الواجب فكذلك"(١).

٥- إلقاء النفس في المهالك: قال ابن عثيمين رحمه الله: "وقد حرم الشارع الإلقاء باليد إلى التهلكة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]؛ والإلقاء باليد إلى التهلكة يشمل: التفريط في الواجب، وفعل المحرم؛ أو بعبارة أعم: يتناول كل ما فيه هلاك الإنسان، وخطر في دينه، أو دنياه، وكذلك سائر الشعائر، يجب القيام بها وتنفيذها، أي نفذوا أحكام الإسلام جميعاً، ولا تدعوا شيئاً من شعائره، ولا تفرطوا في شيء منها؛ وهذا مقتضى الإيمان؛ فإن مقتضى الإيمان أن يقوم الإنسان بجميع شرائع الإسلام"(٢).

٦- التفريط في المسؤولية: قال ابن عثيمين رحمه الله: "ويتفرع على هذا أن كل مسؤول عن شخص إذا تمكن من منعه عن المنكر فإنه يمنعه؛ ولا يعارض هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام: ١٦٤]؛ لأن الإنسان ما دام مسؤولاً فإنه إذا فرط في مسؤوليته كان وازراً، ووزره على نفسه"(٣).

٧- التفريط في محاسبة النفس والغفلة: قال ابن عثيمين رحمه الله عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ٢٨٤]: "ومن فوائد الآية: إثبات محاسبة العبد ..وإني لأعجب أن كثيراً من الناس إذا كان له تجارة دنيوية فإنه لا ينام حتى ينظر في الدفاتر: ما الذي خرج؟ وما الذي دخل؟ وما الذي بقي في ذمم الناس؟ وما الذي بيع؟ وما الذي اشتري؟ إما بنفسه؛ وإما بمن يجعلهم على هذا. ولكننا في أعمالنا الأخروية عندنا تفريط - يعني يندر يوماً من الأيام أن تقول: ماذا عملت اليوم؟ وتستغفر مما أسأت فيه، أو فرطت؛ وتحمد الله على ما قمت به من طاعته"(٤). وقال ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[الكهف: ٢٨]، "وما أكثرَ الأوقاتَ التي تَضيع على مَن غفَل عن ذِكْر اللَّه تعالى، تَضيع بلا فائِدةٍ! وأنت إذا رأَيْت من نَفْسك أن أَوْقاتَك ضائِعة بلا فائِدةٍ، فيَجِب عليك أن تُلاحِظ قَلْبك، فإن هذا لا يَكون إلَّا من غَفْلة القَلْب عن ذِكْر اللَّه تعالى"(٥).

٨- إهمال نصيحة الأهل والعشيرة: قال ابن عثيمين رحمه الله: "واعلم أن الله تعالى قد يجعل على يد الشخص الواحد طهارة كل قبيلته، كما هو مشاهد يخرج رجل واحد صالح مصلح ينذر عشيرته الأقربين، ويحرص على دعوتهم إلى الحق، فيصلح الله تعالى على يديه كل قبيلته، إذا جاء ذلك بإخلاص، وبامتثال لأمره سبحانه وتعالى في قوله:

(١) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران**، ج١، ص٥٣٦.

(٢) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص٣٩٠.

(٣) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج١، ص١٨٨.

(٤) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج٣، ص٤٣٩، ٤٤٠.

(٥) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الأحزاب**، ص٤٩٩.

ISSN: 2462-2508

﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤]. لكن عندنا تَفريط وإهْمال، فالإنسان لا يَتفَقَّد أهلَه الذين في بيته، ولا يَتفَقَّد أهلَه قرابته الذين في غير بَيْته، فهذا هو الواقِع، يَعنِي: الناس الآنَ غايةُ ما يَتواصَلون به إن تَواصَلوا به في الأمور الدُّنْيوية، لكن هدايا الدِّين ما أَقلَّها"[(١)].

٩- التفريط في التأسي بالنبي ﷺ، قال ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[الأحزاب: ٢١]: "الواجِب علينا أن يَكون تَأسِّينا بالرسول ﷺ تَأسِّيًا حسَنًا، لا غُلوَّ فيه ولا تَفْريطَ؛ لقوله تعالى: ﴿حَسَنَةٌ﴾؛ لأن الغُلُوَّ زيادة، والتَّفريط نُقصان، ودِين اللَّه عز وجل بين الغالي فيه والمفرِّط فيه"[(٢)].

١٠- الاستعجال في ربط الاكتشافات العصرية بالقرآن دون التأكد من ثبوتها كحقائق: قال ابن عثيمين رحمه الله: "بعض المعاصرين يحاول أن يربط الاكتشافات العصرية بالقرآن، لكن بعضهم يتجاوز ويفرط في هذا، ويفسر القرآن بما يطابق الحاضر، وهو بعيد عنه، لكن إذا كان المعنى قريب فلا بأس، وقد رأيت بعض الناس لما قيل: إنهم وصلوا إلى القمر، صار يدندن على تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾[الرحمن: ٣٣]، وقال: إن هؤلاء نفذوا إلى أقطار السموات، وأن المراد بالسلطان هو العلم، وهذا حرام، فلا يجوز تفسير الآية بهذا المعنى، حرام لا إشكال فيه؛ لأن الآية ظاهرة جدًّا في أن هذا من باب التحدي، وأنهم لن يستطيعوا النفوذ ...لكن في هذه الآية المراد بالسلطان القدرة؛ لأنه قال: ﴿إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ ولا سلطان لكم، فالسلطان يأتي بمعان متعددة، في كل موضع بحسبه. فهؤلاء الذين يفسرون القرآن بما حدث من اكتشافات، بعضهم يفرط في هذا فيتجاوز الحد، ولم يعلم أنه ربما يأتي يوم من الأيام تكون النظرية التي حمل عليها القرآن نظرية خاطئة وحينئذٍ يُخَطَّئ مدلول القرآن"[(٣)].

١٢- التفريط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال ابن عثيمين رحمه الله: "وهذا يكون في كثير من العباد، كثير من العباد صالح في نفسه لكن لا يحاول أن يصلح غيره، يرى المنكر أمام عينه لا ينهى عنه، يرى التفريط في المعروف أمام عينه لا يأمر به، وهكذا، هذا نقول: إنه صالح، وإن كان أيضًا صلاحه فيه نقص؛ لأن من تمام الصلاح أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر"[(٤)].

(ج) مفاسد التفريط عند ابن عثيمين رحمه الله: من خلال ما تقدم من استعراض بعض صور التفريط عند ابن عثيمين رحمه الله يمكن للباحث استنباط الآثار والمفاسد المترتبة على التفريط في الآتي:

- نقص الإيمان وضعفه وضياع الشريعة، والتهاون بها حتى تتلاشى شيئًا فشيئًا.

(١) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الأحزاب**، ص٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الأحزاب**، ص١٦٧.

(٣) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ج١، ص٣٩٣، ٣٩٤.

(٤) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ج٢، ص١٢٦.

ISSN: 2462-2508

- ضياع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقصور تربية وتأديب من يقع على المسلم أمانة ومسؤولية رعايتهم ودعوتهم، وحصول الإثم بسبب ذلك.
- ضياع الأمانة بمختلف صورها وأنواعها، وظلم النفس.
- التهاون في الدعوة إلى الله عز وجل وتضييع فرص نشر الدين.
- ضياع العلم والتخلف عن ركب الحضارة.
- الانحراف الأخلاقي والأسري، وفشو السلوكيات المخالفة للشرع.

المبحث الثاني: معالم منهج ابن عثيمين في معالجة الانحرافات الفكرية:

قام ابن عثيمين رحمه الله بجهود عملية وعلمية في مواجهة فكر أهل الانحراف الخارج عن الاستقامة، والذي يميل بالمجتمع والأمة عن الحق، ومن أهم معالم منهجه من خلال تفسيره:

أولا: الرد على شبه أهل الانحراف: اتسمت الفترة التي عاش فيها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بظهور تيارات فكرية تشربت انحرافات وشبه فكرية عديدة، وانعكس ذلك على الواقع وعلى الشباب خاصة.

قال ابن عثيمين رحمه الله محدداً أسباب الانحراف عن الحق: "أسباب الانحراف عن الحق إما شبهة وإما شهوة، يعني إما أن الإنسان يشتهي أمرًا مخالفًا للشَّرع فيتبعه، وإما أن يكون عنده شبهة في هذا الحق فيمتنع منه"(١). والشبهات تنشأ إما من ضعف البصيرة، وقلة العلم، وفساد الفهم، أو من فساد القصد الإرادة، وحصول الهوى. والسبيل لمعالجتها والتخلص من أثرها السيئ يكون بسؤال أهل الذكر عما التبس منها، وإسناد الأمر إلى أهل الاختصاص، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء: ٨٣].

ذلك أن الشبهة تلبِّس على أهل الانحراف فيستدلون بها ظانين أنها ثابتة، وليست كذلك، كما تلتبس على من يسمعها فيظنها ثابتة وليست بثابتة. يقول ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: ٤٢] "قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ أي: لا تمزجوا بينهما حتى يشتبه الحق بالباطل؛ فهم كانوا يأتون بشبهات تُشَبِّه على الناس؛ فيقولون مثلاً: محمد حق، لكنه رسول الأميين لا جميع الناس"، إلى أن قال رحمه الله: "من فوائد الآية: وجوب بيان الحق، وتمييزه عن الباطل؛ فيقال: هذا حق، وهذا باطل؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾؛ ومن لبْس الحق بالباطل: أولئك القوم الذين يوردون الشبهات إما على القرآن، أو على أحكام القرآن، ثم يزيلون الإشكال. مع أن إيراد الشبه إذا لم تكن قريبة لا ينبغي. ولو أزيلت هذه الشبهة؛ فإن الشيطان إذا أوقع الشبهة في القلب فقد تستقر فيه. وإن ذكِر ما يزيلها ..."(٢).

(١) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة النور**، ص٣٢٧، ٣٢٨.

(٢) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج١، ص١٥٢، ١٥٣.

ISSN: 2462-2508

وهكذا يبين ابن عثيمين كيف تنشأ الشبهات وكيف تؤدي إلى انحرافات فكرية خطيرة، يصعب تجاوزها بسهولة؛ لأنها تؤثر في القلب، والإنسان حين يلتبس عليه الحق بالباطل يرى الباطل حقًا والحق باطلاً، وهذا هو قصد مثيري الشبهات وأصحاب الانحرافات يلبسونها بغيرها حتى لا تعرف بسهولة، ولا يمكن معرفتها وفضحها إلا بجهد، وهذا جهد مقصود من أصحابها، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[الأنعام: ١٣٧]. ولذلك فكشف الشبهات يحتاج إلى جهد وعمل، ومن هنا نفهم من كلام ابن عثيمين رحمه الله أن على المتلقي مسؤولية في مواجهة الشبهات والأفكار المنحرفة، فلا يلام فقط ناشر الشبهات والانحرافات – وإن كانت مسؤوليته مبدئية لما يقوم به من الإفساد والتحريف ولكن المتلقي أيضًا مسؤول عن نفسه؛ إذ لا بد أن يتقي الشبهات ولا يكون سهلا في تلقيها وتشربها، فمن وصاياه في دفع الشبهات: "فاجتنب إثارة الشبه وإيرادها على نفسك أو غيرك، فالشبه خطافة، والقلوب ضعيفة، وأكثر من يلقيها حمالة الحطب– المبتدعة– فتوقّهم"[(١)]. فهو هنا يحمل الإنسان مسؤولية نفسه، في دفع الشبهات.

وفي هذا الاتجاه نجد أن ابن عثيمين رحمه الله يحدد أسباب الاشتباه فيقول: "أسباب الاشتباه أربعة:

١. قلة العلم: فقلة العلم توجب الاشتباه، لأن واسع العلم يعرف أشياء لا يعرفها الآخرون.

٢. قلة الفهم: أي ضعف الفهم، وذلك بأن يكون صاحب علمٍ واسعٍ كثير، ولكنه لا يفهم، فهذا تشتبه عليه الأمور.

٣. التقصير في التدبر: بأن لا يتعب نفسه في التدبر والبحث ومعرفة المعاني بحجة عدم لزوم ذلك.

٤. وهو أعظمها: سوء القصد: بأن لا يقصد الإنسان إلا نصر قوله فقط بقطع النظر عن كونه صواباً أو خطأً، فمن هذه نيته فإنه يحرم الوصول إلى العلم، نسأل الله العافية، لأنه يقصد من العلم اتباع الهوى"[(٢)].

و"الزائغون يتخذون من هذه الآيات المشتبهات وسيلة للطعن في كتاب الله، وفتنة الناس عنه، وتأويله لغير ما أراد الله تعالى به، فَيضِلون، ويُضِلونَ. وأما الراسخون في العلم، فيؤمنون بأن ما جاء في كتاب الله تعالى فهو حق، وليس فيه اختلاف، ولا تناقض؛ لأنه من عند الله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء: ٨٢]، وما جاء مشتبهاً ردوه إلى المحكم؛ ليكون الجميع محكماً"[(٣)].

فهذه مداخل الشبه إلى الإنسان وهو المسؤول عنها قبل غيره، ولذلك ينبغي للمسلم تحمل هذه المسؤولية بما يتناسب مع قدراته وإمكاناته، ولا شك أن للعزيمة والإرادة دور كبير في تحمل هذه المسؤولية بقدرها. وكان ابن عثيمين لا يألو جهدا في بيان الانحرافات الفكرية والشبه والأباطيل التي ترد على المجتمع أو تتعلق بما يدرسه، فقد كان ينتهز الفرص لبيان الانحراف وتقويمه ولا يكاد يفوت ذلك في أي موضوع يتناسب مع شبهة أو انحراف عرفه أو

(١) ابن عثيمين، **شرح حلية طالب العلم**، ص١٩٤.

(٢) ابن عثيمين، **شرح الأربعين النووية**، ص١٠٩.

(٣) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج١، ص٤٧.

ISSN: 2462-2508

سمع أو قرأ عنه. وقد وظف دروسه في التفسير في الرد على شبه وأباطيل كثيرة مما يتعلق بالآيات القرآنية التي يشرحها ويفسرها، ومن أمثلته:

ثانيا: التحذير من الأفكار المنحرفة وبين خطورتها: ومن معالم منهج ابن عثيمين في مواجهة الانحرافات الفكرية؛ إفراطًا وتفريطًا التحذير من الدعاوى الضالة التي تستهدف الشرع الحنيف، ومنها:

١- الرد على دعاة تعطيل الحدود الشرعية، كما عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[المائدة: ٣٨].

٢- الرد على دعوى فصل الدين عن الدولة، فقال عند قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[الكهف: ٢٦]، "في الآية دليل على وجوب الرجوع إلى حكم الله الشرعي..والله وحده له حق التشريع في كل جوانب الحياة"(١).

٣- التحذير الغزو الفكري ووسائله، قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾[سبأ: ٥]: "سعوا في آياتنا لم يبين بماذا سعوا؟؛ لأن هؤلاء يسعون في إبطال آيات الله تعالى أحيانا بالصراع المسلح، يعني: يهاجمون الديار، ويقاتلونهم حتى يردوهم عن دينهم، وأحيانا بالسلاح الفكري، فيبثون فيهم الشبهات؛ في دينهم، في نبيهم، في ربهم؛ ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وأحيانا يسعون في ذلك بالشهوات؛ فيبثون في الناس حب اللهو والشهوة"(٢).

وقال ابن عثيمين ذكر: "استعمار الأفكار أعظم من استعمار الديار؛ لأن استعمار الأفكار فتنة؛ واستعمار الديار أقصى ما فيه إما القتل، أو سلب الخيرات، أو الاقتصاد، أو ما أشبه ذلك؛ فالفتنة أشد؛ لأنها هي القتل الحقيقي الذي به خسارة الدين، والدنيا، والآخرة "(٣).

والإعلام من أهم وسائل الغزو الفكري، بسبب ما يبثه من سموم الفكرية وإثارة الغرائز والشهوات، قال ابن عثيمين رحمه الله: "من أضر ما يكون على البلاد الإسلامية بعد بث السموم الفكرية بث السموم الشهوانية؛ لأن الشهوانية هذه يميل إليها الإنسان بفطرته التي تمليها عليه نفسه الأمارة بالسوء، فيدخل فيها مكرها فإذا انغمس – نسأل الله تعالى العافية – فيها فإنه يقل أنْ ينتشل نفسه منها. فالمهم: أن الذين كفروا يسعون سعيا حثيثا في إبطال آيات الله تعالى أن تنشر، أو أن يعمل بها أو أن يتجه الناس إليها، بكل ما يستطيعون من قوة؛ إما بالصراع المسلح، وإما ببث الأفكار المشككة المشبهة، وإما ببث الشهوات حتى يعرض الناس عن دينهم"(٤).

ثالثا: بيان أسباب الانحرافات: وهي كثيرة، وأهمها: عمى القلوب عن ذكر الله، فتصبح مرتعا للشبه والانحرافات سريعة الانجذاب إليها، بل تتزين الشبه والانحرافات للقلب فيتقبلها؛ يذكر ابن عثيمين رحمه الله من فوائد قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى

(١) ينظر: ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الكهف**، ص٥٤.

(٢) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة سبأ**، ص٥١.

(٣) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص٣٧٨.

(٤) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة سبأ**، ص٥٢.

ISSN: 2462-2508

﴿وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾[الزخرف: ٣٨]: قال: "العمى عمى القلب – والعياذ بالله – لما تعامى بعينه عن ذكر الرحمن، وبقلبه أيضًا؛ قيض له هذا الشيطان الذي يصده عن الهدى وهو يحسب أنه مهتد: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الزخرف: ٣٧]، وما أكثر هذا! أهل البدع الذين أصروا على بدعهم، صغيرة كانت أو كبيرة، ألم يكونوا قد استحسنوها؟ فلماذا استحسنوها وهي بدعة مضللة؛ لأن الشيطان صدهم عن الحق، أهل الأفكار الرديئة، كالعلمانيين، والشيوعيين، والبعثيين، ومن أشبههم، لماذا استمروا على ذلك؟ لأن الشيطان ركب قلوبهم – والعياذ بالله – فجعلهم يظنون أن هذا السيئ حسن، وهذا أشد ما يكون من الفتنة أن يرى الإنسان السيئ حسنا فيمضي فيه"[(١)].

رابعا: استعمال أساليب متنوعة في الحوار والمناظرة: قال ابن عثيمين رحمه الله: "ينبغي للإنسان أن يتعلم طرق المناظرة، والمحاجة؛ لأنها سُلَّم، ووسيلة لإحقاق الحق، وإبطال الباطل؛ ومن طالع كتب شيخ الإسلام ونحوها تعلَّم المناظرة ولو لم يدرسها فناً"[(٢)]. ويتحقق هذا من خلال:

١– تنويع أساليب الحجاج، فربما كانت الشبهة عقلية وكان ردها بمقتضى الدلالة العقلية أبلغ في التأثير عند بعض الناس، وقد كان ابن عثيمين رحمه الله يهتم كثيرًا بالجانب العقلي في الرد والمحاجة؛ لإسقاط ما يتعلق به الخصم من الشبه، والاستدلال بالعقل وارد في القرآن، ففي قول الله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[البقرة: ١١٦، ١١٧]. قال ابن عثيمين رحمه الله في تفسير هذه الآية: "قوله تعالى: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ أي: كل له خاشع ذليل؛ لأنه مملوك؛ والله تبارك وتعالى هو المالك؛ وهذا من الاستدلال بالعقل على كذب دعوى هؤلاء أن له سبحانه وتعالى ولداً...وقد أبطل الله هذه الدعوى الكاذبة من ستة أوجه: الوجه الأول: في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾؛ فإن تنزهه عن النقص يقتضي أن يكون منزهاً عن اتخاذ الولد؛ لأن اتخاذ الولد يقصد به الإعانة، ودفع الحاجة، أو بقاء العنصر؛ والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك؛ ومنزه أيضاً عن المماثلة؛ ولو كان له ولد لكان مثيلاً له. الوجه الثاني: في قوله تعالى: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ وعموم ملكه يستلزم استغناءه عن الولد. الوجه الثالث: في قوله تعالى: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، والمملوك لا يكون ولداً للمالك؛ حتى إنه شرعاً إذا ملك الإنسان ولده يعتق عليه؛ فالمملوك لا يمكن أن يكون ولداً للمالك؛ فالله خالق؛ وما سواه مخلوق؛ فكيف يكون المخلوق ولداً للخالق! الوجه الرابع: في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾؛ ووجهه أن العباد كلهم خاضعون ذليلون؛ وهذا يقتضي أنهم مربوبون لله عابدون له؛ والعبد لا يكون ولداً لربه. الوجه الخامس: في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[البقرة: ١١٧]؛ ووجهه أنه سبحانه وتعالى مبدع السماوات والأرض، فالقادر على خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق

(١) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الزخرف**، ص١٥٥.

(٢) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج٣، ص٢٨١.

ISSN: 2462-2508

إنساناً بلا أب، كما قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[غافر: ٥٧]. الوجه السادس في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾؛ ومن كان هذه قدرته فلا يستحيل عليه أن يوجد ولداً بدون أب. فبطلت شبهتهم التي يحتجون بها على أن لله ولداً"[(١)].

٢- الإنكار على أهل الباطل عن طريق العقل، قال ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾[الصافات: ٩٥]: "ومن فوائد قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾، الإنكار على أهل الباطل بباطلهم عن طريق العقل، والاحتجاج على أهل الباطل بباطلهم عن طريق العقل، أي كيف تنحتونه أنتم وتصنعونه أنتم، ثم بعد ذلك تعبدونه أليس الأولى من الناحية العقلية أن يكون هذا المنحوت هو الذي يعبدكم، لأنكم أنتم الذين نحتموه وأوجدتموه، ولكن عقولهم منتكسة فصار الأمر بالعكس يعبدون ما ينحتون"[(٢)].

٣- إقامة الحجة على الخصم بما لا ينكره، قال ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٨٨ - ٩٦]: "ومن فوائدها: إقامة الحجة على الخصم بما لا ينكره لقوله: بَرَبِّ العَالَمِينَ لأن العالم تشمل حتى آلهتهم التي يعبدونها، فإذا كانت آلهتهم مربوبة فكيف يمكن أن تكون معبودة؟ هذا تناقض، وقد مرّ علينا أن من أقر بانفراد الله بالربوبية لزمه أن يقر بانفراده بالألوهية وإلا صار متناقضًا. إذ لا يستحق العبادة إِلَّا الرب الخالق المالك المدبر، ومن لم يكن كذلك فإنه لا يستحق أن يُعبد"[(٣)].

٤- إقامة الحجة على المعاند فيما يعتقد صحته أو مما يعتقد صحته، قال ابن عثيمين رحمه الله: "إقامة الحجة على الشخص فيما يعتقد صحته أو مما يعتقد صحته، يعني: أن تُقيم الحجة على خصمك من شيء يؤمن به ويعتقد صحته؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[آل عمران: ٩٣]، التوراة التي أنتم تُقرون بأن ما فيها حق، ائتوا بها اتلوها، يتبين أن النسخ كان موجودًا فيها، ومن قديم الزمان"[(٤)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[آل عمران: ٥٩]: "في هذه الآية بيان إقامة الحجة بمثل ما يحتج به الخصم؛ لأنه أقام الحجة على النصارى بمثل ما احتجوا به، فقال: إذا قلتم: إن عيسى ابن الله؛ لأنه خلق بلا أب، فقولوا: إن آدم ابن الله، وإلا فأنتم متناقضون"[(٥)].

(١) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص١٦ - ١٩.

(٢) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الصافات**، ص٢١٥.

(٣) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الصافات**، ص٢٠٩

(٤) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران**، ج١، ص٥٣٨.

(٥) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران**، ج١، ص٣٥٢.

ISSN: 2462-2508

خامسا: توظيف القصص القرآني في الرد على المنحرفين وافتراءاتهم: ومن ذلك:

١- العناية بمناظرات الأنبياء، قال رحمه الله: "وفي مناظرة إبراهيم ﷺ يمكن أن ننتفع بها هنا - دليل على أنه إذا ادعى المبطل دعوى فإننا، ننقله إلى ما هو أوضح؛ لأن المقصود ليس المجادلة، إنما المقصود إقامة الحجة على بطلان هذا الأمر، وهو إذا بطل ولو من دليل واحد كفى، ولا حاجة أن نبطله من الدليل الذي يعينه الخصم، قد نبطله من دليل آخر، فإبراهيم ﷺ لو أراد أن يحاج هذا الرجل ويجادل هذا الرجل لقال له: لست تحيي وتميت، وإنما تفعل سبب الإحياء والإماتة، لكنه عليه الصلاة والسلام ذهب إلى دليل أوضح وأبين، ولا تمكن المحاجة فيه، قطعا للنزاع والمجادلة، فالإنسان الذي يجادل قابله بدليل لا يمكنه دفعه فقال: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾[البقرة: ٢٥٨]، وهذا إلزامٌ لا يتمكَّن معه أن يدعي شيئًا، ولهذا قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: ٢٥٨]"(١). وقال ابن عثيمين رحمه الله: "ينبغي للإنسان أن يتعلم طرق المناظرة، والمحاجة؛ لأنها سُلَّم، ووسيلة لإحقاق الحق، وإبطال الباطل؛ ومن طالع كتب شيخ الإسلام ونحوها تعلَّم المناظرة، ولو لم يدرسها فنًا"(٢).

وبين ابن عثيمين رحمه الله عددًا من فوائد المحاجة والمناظرة المستفادة من الآية، منها: "أن المحاجة لإبطال الباطل، ولإحقاق الحق من مقامات الرسل؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾. ومنها: الإشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يتعلم طرق المناظرة، والمحاجة؛ لأنها سُلَّم، ووسيلة لإحقاق الحق، وإبطال الباطل؛ ومن طالع كتب شيخ الإسلام ونحوها تعلَّم المناظرة ولو لم يدرسها فناً"(٣).

٢- استعمال التحدي عند المناظرة، فعند تفسيره قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾[سبأ: ٢٢]، ذكر ابن عثيمين رحمه الله فوائد في المناظرة، منها: "أن فيها دليلا على أنه ينبغي في المناظرة التحدي للمناظر فيما يعلم أنه لن يكون؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ فيجب على كل دعاة الحق أن يتحدوا هؤلاء المبطلين بأن يبرزوا لباطلهم شيئا من النفع، وهذا كما أنه من الشرك يكون أيضا فيما دونه، فإنه ينبغي أن يكون الداعي لله على علم بالأمور حتى يستطيع الجدل فيها؛ لأن من لم يكن على علم فيها فأنه سيقف حيران ولا يتمكن من مقابلة الخصم(٤).

وعند بيان فوائد قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[سبأ: ٢٧]، قال ابن عثيمين: "من آداب المناظرة سلوك التحدي فيما يعلم امتناعه من الخصم؛ لأنك إذا تحديته في أمر لا يمكنه وظهر عجزه تبين بطلان دعواه، بخلاف

(١) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الفرقان**، ص٣٢.

(٢) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج٣، ص٢٨١.

(٣) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج٣، ص٢٨١.

(٤) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة سبأ**، ص١٦١.

ISSN: 2462-2508

ما إذا تحديته بأمر يمكنه أن يفعله فإن هذا ضرر عليك. فلا تتحدى الخصم إلا بأمر يعجزه ولا يتمكن منه هنا، يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ يعني: أعلموني ماذا خلقوا؟ ماذا نفعوا؟"[(١)].

٣- **استعمال الأوضح والأبين من الأدلة،** قال ابن عثيمين رحمه الله عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[سبأ: ٢٤- ٢٥]. "الفائدة الثانية: أنه ينبغي أن يستدل بالأوضح والأبين، فإن الرزق من الله عز وجل أمر معلوم لا يستطيع أحد أن يقول: إنه ينزل المطر أو أنه ينبت النبات. وفي باب المناظرة ينبغي للإنسان أن يستدل بما هو أبين وأوضح، وهذه طريقة القرآن...الفائدة الرابعة: جواز محاجة الخصم بما يعرَف – عند علماء المناظرة والجدل – في باب المناظرة بالسبر والتقسيم، فالسبر يعني: تتبع الشيء، والتقسيم يعني الترديد بين هذا أو هذا، فمثلا هنا: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ فإذا تتبعنا الحال وجدنا أن حال كل منا لا تخرج عن حالين: إما هدى، وإما ضلال، وهي إما لنا، وإما لكم، وليس هناك شيء ثالث"[(٢)].

٤ – **كشف أصل الانحراف وحجته قبل دحضه،** وربط الأفكار المنحرفة الحديثة بأصولها القديمة، لأن الأقوال والأفكار هي نفسها وإن تجددت بصيغ مختلفة. قال ابن عثيمين: "أهل الباطل يحاجون في الحق لإبطاله؛ ولكن حججهم باطلة. ويتفرع على هذه الفائدة: أنه ينبغي للإنسان أن يعرف شبه المخالفين التي يدعونها حججاً لِيَنْقَضَّ عليهم منها، فيبطلها؛ قال الله تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١٨]"[(٣)].

٥ – **إقناع المنحرف بكل ما تيسر من الأدلة،** وقد جرت عادة ابن عثيمين أن يحشد ما لديه من الأدلة عند مناقشة أي قضية شائكة، ومن ذلك مثلًا قوله في إثبات علو الله: "ومنها: إثبات علوّ الله عزّ وجلّ؛ لأنه إذا تقرر أن القرآن كلامه، وأنه منزل من عنده لزم من ذلك علوّ المتكلم به؛ وعلو الله عزّ وجلّ ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة؛ وتفاصيل هذه الأدلة في كتب العقائد؛ ولولا خوض أهل البدعة في ذلك ما احتيج إلى كبير عناء في إثباته؛ لأنه أمر فطري؛ ولكن علماء أهل السنة يضطرون إلى مثل هذا لدحض حجج أهل البدع"[(٤)].

٦ – **ترك مجادلة المخالف لغير مصلحة شرعية،** يقرر ابن عثيمين رحمه الله أن الأصل ترك الجدل مع المنحرفين ومع مثيري الشبهات إذا كان لغير مصلحة شرعية. فيقول: "ومنها: تحريم الجدال؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[البقرة:

(١) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة سبأ**، ص١٨٩.

(٢) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة سبأ**، ص١٨١، ١٨٢.

(٣) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص١٥٨.

(٤) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج١، ص٨٣.

ISSN: 2462-2508

١٩٧]. والجدال إن كان لإثبات الحق، أو لإبطال الباطل فإنه واجب، وعلى هذا فيكون مستثنًى من هذا العموم؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[النحل: ١٢٥].وأما الجدال لغير هذا الغرض فإنه محرم حال الإحرام؛ فإن قلت: أليس محرماً في هذا، وفي غيره لما يترتب عليه من العداوة، والبغضاء، وتشويش الفكر؟ فالجواب: أنه في حال الإحرام أوكد"[١].

ويبين ابن عثيمين رحمه الله أن في الجدل حرمانًا من بركة العلم، فيقول: "وما من إنسان في الغالب أعطي الجدل إلا حرم بركة العلم؛ لأن غالب من أوتي الجدل يريد بذلك نصرة قوله فقط؛ وبذلك يحرم بركة العلم؛ أما من أراد الحق فإن الحق سهل قريب لا يحتاج إلى مجادلات كبيرة؛ لأنه واضح؛ ولذلك تجد أهل البدع الذين يخاصمون في بدعهم علومهم ناقصة البركة لا خير فيها؛ وتجد أنهم يخاصمون، ويجادلون، وينتهون إلى لا شيء؛ لا ينتهون إلى الحق؛ لأنهم لم يقصدوا إلا أن ينصروا ما هم عليه؛ فكل إنسان جادل من أجل أن ينتصر قوله فإن الغالب أنه لا يوفق، ولا يجد بركة العلم؛ وأما من جادل ليصل إلى العلم، ولإثبات الحق، وإبطال الباطل فإن هذا مأمور به"[٢].

٧ – الإنصاف والعدل مع المنحرفين، قال ابن عثيمين رحمه الله: "الإنصاف والعدل في حكم الله عزّ وجل؛ لأنه قال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنًا وَكُفۡرٗاۚ ﴾[المائدة: ٦٤]، ولم يقل: أكثرهم، ولم يقل: كلهم. ولهذا يجب على الإنسان إذا رأى في قوم انحرافًا من بعضهم؛ ألا يُجري الحكم على الجميع بل يقول: كثير أو بعض أو منهم أو ما أشبه ذلك؛ لأنه لو عمم مع وجود استقامة في الآخرين لكان ظالمًا من وجه وكاذبًا من وجه آخر، ولهذا تجد الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُم ﴾، ولم يقل: أكثر ولا الجميع"[٣].

سادسا: بيان كمال الشريعة وسعتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان: قال ابن عثيمين رحمه الله: "فشرائع اليهود والنصارى مناسبة لحالهم وزمانهم ومكانهم، وشريعة محمد رحمه الله مناسبة لكل أمة في كل زمان وفي كل مكان، فيكون قوله: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة: ٤٨]، بعد توحيد الشرعة والمنهاج يكون من باب إفحام الخصم، أي: أن هؤلاء الذين يقولون: إن شريعة محمد غير مقبولة؛ لأنها تخالف شرائعنا، وغير صحيحة؛ لأنها تخالف شرائعنا، نقول: أنتم لكم شرائع خاصة مناسبة، وأمة محمد لها شرائع خاصة مناسبة، وأنتم الآن تعتبرون من أمة محمد باعتبار الدعوة"[٤]، وتزداد الثقة بكمال هذا الدين، ووفائه بكل احتياجات الخلق من خلال:

١ – التفكر في الآيات الكونية والشرعية، قال ابن عثيمين رحمه الله: "ومما يطلب أن نتفكر فيه من الأمور الواقعة آيات الله عز وجل الكونية والشرعية: فالآيات الكونية: هي المخلوقات، وما أبدع الله فيها من الحكم

(١) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص٤١٨.

(٢) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص٤٤٤، ٤٤٥.

(٣) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ج٢، ص١٢٢.

(٤) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة، ج١، ص٤٧١، ٤٧٢.**

ISSN: 2462-2508

والأسرار العظيمة. والآيات الشرعية: هي الأحكام الشرعية التي شرعها الله للعباد، وجعلها صالحة لكل زمان ومكان، يعني: إذا طبقت الشريعة فهي صالحة لكل زمان ومكان. وهنا نشير إلى من توسَّل بهذه العبارة إلى تكييف الشريعة حسب الواقع؛ فنقول: إنَّ هذا غلط عظيم، والواجب تكييف الواقع حسب الشريعة، وإذا كُيِّفَ الواقع حسب الشريعة صلحت الأمور، أما أن نكيف الشريعة حسب الواقع ويكون لنا في كل زمان شريعة، أو في كل مكان شريعة، أو في كل أمة شريعة، فهذا يعني: أن الشريعة تبدل وتعدل وتدخلها الأهواء، وهذا شيء ممتنع، فالتفكر يكون في آيات الله عز وجل الكونية والشرعية، كذلك أيضاً التفكر في أسماء الله وصفاته، تفكر في الاسم، ماذا يدل عليه من الصفة، سواء كانت الدلالة دلالة تضمن، أو دلالة مطابقة، أو دلالة التزام"[(١)].

٢ – تعلم العلم الشرعي، وبه تتم مواجهة فتن الشبهات والشهوات، قال ابن عثيمين رحمه الله: "وطلب العلم في الوقت الحاضر من أهم المهمات؛ لكثرة الفتن من شبهات وشهوات، فإذا لم يكن عند الأمة الإسلامية علماء يحفظونها ويحرسونها ويدافعون عنها، فربما تهلك كما هلكت الأمم"[(٢)].

٣ – عدم الاعتبار إلى كثرة المخالفين: قال ابن عثيمين رحمه الله: "الإنسان يجب عليه أن يتبع الحق أينما كان؛ ولا ينظر إلى كثرة المخالف؛ لا يقل: الناس على كذا فكيف أشذ عنهم! بل يجب عليه أن يتبع الحق؛ لأن قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[البقرة: ١٤٨]، يشمل الوجهة الشرعية، والوجهة القدرية؛ يعني ما وجه الله العباد إليه شرعاً، وما وجههم إليه قدراً؛ الوجهة القدرية معروفة: فمن الناس من يهديه الله تعالى فيكون اتجاهه إلى الحق؛ ومن الناس من يُخذَل فيَضل، ويكون اتجاهه إلى الباطل؛ فالوجهة التي يتبعها المشركون، واليهود، والنصارى، وما أشبه ذلك هذه وجهة قدرية؛ أما شرعية فلا؛ لأن الله ما شرع الكفر أبداً؛ ولا شرع شيئاً من خصال الكفر؛ والوجهة الشرعية: اختلاف الشرائع بين الناس؛ فلا تظن أن اختلاف الشريعة الإسلامية عن غيرها معناه أنها ليست حقاً؛ فإنها الحق من الله"[(٣)].

سابعا: بيان أثر الانحراف الفكري في تأخر النصر: بيَّن ابن عثيمين رحمه الله أن سبب تأخر النصر هو التفريط والغلو، فقال: "لو قال قائل: قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾[المائدة: ٥٦]، هذه الجملة فيها حصر؛ لأن الغلبة لحزب الله عزّ وجل، لو أُورد علينا إِيرَادُ هذا القائل فإننا نجد أن المسلمين صارت عليهم هزائم وصارت الغلبة لأعدائهم حتى في عهد الرسول ﷺ؟ الجواب: المراد هم الغالبون باعتبار النهاية، وغلبة غير المسلمين لا بد أن يكون لها حكمة، فمثلًا: في (أُحُد) سببها المخالفة والمعصية، وفي (حُنين) سببها الإعجاب، فالله تعالى قد يُدِيلُ الكفار على المسلمين لحكمة، إما لتقصير المسلمين أو لغلوهم في أنفسهم أو لأي سبب، لكن في النهاية تكون الغلبة لحزب الله، الذين هم أولياء الله"[(٤)]. وبهذا يعلم أن الانحراف الفكري سببٌ من

(١) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الكهف**، ص٥٤، ٥٥.

(٢) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الأنعام**، ص٢٦٠، ٢٦١

(٣) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص١٤٧.

(٤) ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ج٢، ص٦٠، ٦١.

ISSN: 2462-2508

أسباب حلول الهزائم بالأمة، وعليه فلا بد من تصحيح المسار.

الخاتمة: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد هذه السياحة العلمية في كتاب (تفسير القرآن الكريم) لابن عثيمين، يطيب لي تسجيل النتائج والتوصيات الآتية:

أولا: النتائج:

١. سعة عالم ابن عثيمين بحال عصره، ومعرفته التامة بما يكتنفه من تيارات وأفكار متناقضة.
٢. شمولية منهج ابن عثيمين في التشخيص والوقاية والعلاج لتلك الأفكار المنحرفة.
٣. تنزيل ابن عثيمين للقضايا المعاصرة على الواقع المعيش ومعالجة ما شذ منها.
٤. المراد بأسباب الانحرافات الفكرية هي كل ميل عن الطريق المستقيم يؤدي إلى الإفراط أو التفريط.
٥. كان الانحراف الفكري هو الحامل لكثير من الفرق المتطرفة والمفرِّطة على مخالفة المنهج الحق.
٦. الانحراف الفكري يترتب عليه انحراف القول والعمل والسلوك.

ثانيًا: التوصيات:

١. دراسة موقف ابن عثيمين من التيارات المنحرفة كل على حدة.
٢. مقارنة منهج ابن عثيمين بمنهج غيره من علماء العصر.

المصادر والمراجع:

- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **القول المفيد على كتاب التوحيد**، (دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** الفاتحة والبقرة، (دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** جزء عم، (دار الثريا، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة آل عمران، (دار ابن الجوزي، الدمام، ط٣، ١٤٣٥هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة الأحزاب، (مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط١، ١٤٣٦هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة الأنعام، (دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٣٣هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة الروم، (مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، القصيم، ط١، ١٤٣٦هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة الزخرف، (مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط١، ١٤٣٦هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة الزمر، (مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط١، ١٤٣٦هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة الشورى، (مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط١، ١٤٣٦هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة الصافات، (دار الثريا، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:**

ISSN: 2462-2508

سورة العنكبوت، (مؤسسة الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين الخيرية، ط١، ١٤٣٦هـ).

- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة الفرقان، (مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط١، ١٤٣٦هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة الكهف، (دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة المائدة، (دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٣٥هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة النساء، (دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٣٠هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة النور، (مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط١، ١٤٣٦هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة سبأ، (مؤسسة الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين الخيرية، ط١، ١٤٣٦هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة غافر، (مؤسسة الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين الخيرية، ط١، ١٤٣٧هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم:** سورة يس، (دار الثريا، الرياض).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **شرح الأربعين النووية،** (دار الثريا، الرياض).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **شرح حلية طالب العلم،** (بدون بيانات).
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان،** تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،** (دار عطاءات العلم، ط٢، الرياض، ١٤٤١هـ).
- أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل، **الباعث على إنكار البدع والحوادث،** تحقيق: عثمان عنبر، (دار الهدى، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ).
- أبو عبيد، القاسم بن سلام، **غريب الحديث،** تحقيق: حسين شرف، (مطابع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ).
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة،** (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م).
- الإفريقي، محمد بن مكرم بن منظور المصري، **لسان العرب،** (دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ).
- آل رشود، عبد الله، **ظاهرة الانحراف الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية،** (مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٣٦، ١٤٢٢هـ).
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري،** تحقيق: جماعة من العلماء، (دار طوق النجاة، بعناية: محمد زهير الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ).
- بدوي، أحمد زكي، **معجم مصطلحات العلوم الإنسانية،** (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م).
- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الخالق، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار،** تحقيق: عادل سعد، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة).
- البلخي، مقاتل بن سليمان، **تفسير مقاتل،** تحقيق: عبد

ISSN: 2462-2508

الله شحاته، (دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ).

- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب، **مشكاة المصابيح**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح**، تحقيق: أحمد عطار، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ).
- الحراني، أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، (دار عالم الكتب، بيروت، ط٧، ١٤١٩هـ).
- الحراني، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ).
- الحسين، وليد بن أحمد، والزبيري، أبو عبد الله، **نبذة عن حياة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، (مجلة الحكمة، لندن، العدد ٢، فبراير، ١٩٩٤م).
- الحسين، وليد، **الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله العلمية والعملية وما قيل فيه من المراثي**، (مجلة الحكمة، لندن، ط١، ١٤٢٢هـ).
- حميدة، عمر حيدر، **انحرافات بني إسرائيل السلوكية وأثرها على الإنسانية**: دراسة قرآنية، (رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمَّان، ٢٠١٧م).
- الحنبلي، يوسف بن حسن بن عبد الهادي، **الدر النقي في شرح ألفاظ الخِرَقي**، تحقيق: رضوان غربية، (دار المجتمع، جدة، ط١، ١٤١١هـ).
- السلمان، فهد بن ناصر، **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، (دار الوطن – دار الثريا، ١٤١٣هـ).
- السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ).
- شفيق، محمد، البحث العلمي؛ **الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية**، (المكتبة الجامعية، مصر، ٢٠٠١م).
- الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ).
- الشهراني، بندر بن علي، **تصور مقترح لتفعيل دور المدرسة الثانوية في تحقيق الأمن الفكري**، (رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ).
- الشيباني، عمر التومي، **دور المربي ورجل الإعلام والمرشد الديني في الوقاية** من الجريمة والانحراف، (جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م).
- الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ).
- عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (المكتبة الإسلامية، إسطنبول).
- العساف، صالح، **المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية**، (مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ).
- العسقلاني، أحمد بن علي، ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، بيروت).

ISSN: 2462-2508

- الفيومي، أحمد بن محمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (المكتبة العلمية، بيروت).
- القزويني، أحمد بن فارس، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، (دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م).
- القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٥م).
- المحمودي، محمد سرحان علي قاسم، **مناهج البحث العلمي**، دار الكتب، صنعاء، ط٣، ١٤٤١هـ).
- المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ).
- المري، عصام عبد المنعم، **الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين**، (دار البصيرة، الإسكندرية، ٢٠٠٣م).
- مصطفى، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، (دار الدعوة، ١٩٦٩م).
- النسائي، أحمد بن شعيب، **سنن النسائي**، (المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، ط١، ١٣٤٨هـ)
- الواحدي، علي بن محمد النيسابوري، **التفسير البسيط**، تحقيق: مجموعة من المحققين، (عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ).
- وطفة، علي أسعد، الأحمد، عبد الرحمن، **التعصب ماهية وانتشارًا في الوطن العربي**، (مجلة عالم المعرفة، العدد ٣، المجلد ٣٠، يناير، ٢٠٠٢م).